محـــاكمة نميـــرى

محمد مصطفى

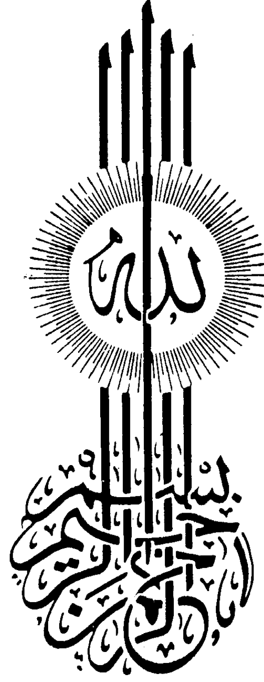
محاكمة نميرى



دار الصفوة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

ش. م. م. - الغردقة - البحر الأحمر ت : ٤٤١٥٧٠/٤٤١٣١٥ - فاكسميلي : ٤٤١٣١٥ ت : القاهرة ت : ٢٦٠٦٢٢٠ - فاكسميلي : ٢٦٠٦٢٢٠



تقديـــم

أنا ضد العسكرتارية فى كل زمان ومكان ، وأرى أن الحرية أغلى ـ دائماً ـ من الخبز .

ولكن العسكر يرون : أن الحرية ترف لايجب أن تنعم به الشعوب ، وأرى أن الفرق بين الإنسان والحيوان ، أن الإنسان يجب أن ينعم بهذه الحرية ، ولذلك فإن العسكر يحولون شعوبهم إلى «قطيع» يقدمون له الخبز ، والذى يختفى مع غياب الحرية ؛ لذلك عشت أناهض كل الأنظمة التى تبغض الحوار ، وتغتال الحرية ، وتفتح المعتقلات وتعلق المشانق ، وتقتل الأمل ، وتروع الشعوب .

وأرى : أن الأنـظمـة العسكـرية ، هى رسـل الاستعمار الجديد ، سواءً علموا ، أو لم يعلموا ، فإن الاستعمار الجديد يسهل عليه التعامل مع النظام الشمولى ، عن الأنظمة الديمقراطية ، حيث تتعدد الآراء ، وتتكشف الأستار ، وأرى أن المجاعات فى إفريقيا ليست لها أسباب بيئية أو اقتصادية بقدر ماهى حتمية لثمار النظام الشمولى .

ولقد عانت الأمة العربية كثيراً من نظام الفرد الواحد ، والقرار الواحد ، وبلغت قمة مأساة هذه المعاناة ، بوصول صدام حسين إلى حكم العراق ، حيث استطاع فى فترة وجيزة أن يحول العراق ، من أغنى دول الأمة العربية إلى أفقرها ، واغتال مستقبلها ، وحطم معها آمال أمة كاملة .

وفى الـدول الشمـولية ، حيث تكثـر صور «الزعيم» وأحاديث «الزعيم» وحكمة «الزعيم» فإن أصحاب الرأى الآخر من شدة بطش «الزعيم» لهم ثلاثة مواقع فقط على كوكب الأرض :

الموقع الأول : فى المنفى . . هرباً من قبضة «الزعيم» العادل .

الموقع الثانى : داخل الوطن فى السجون والمعتقلات .

الموقع الأخير : فى القبور . . حيث ينتقل من السجون والمعتقلات بعد رحلة عذاب وتعذيب شديدة . . إلى الراحة الأبدية .

عندما أرسل لى الكاتب الصحفى الأستاذ / محمد مصطفى بأوراق «محاكمة نميرى» لأكتب تقديماً لها ، شعرت بحرج شديد ، فالكاتب من أعز الأصدقاء ، إلا أن الأستاذ / محمد مصطفى ـ كعادته دائماً ـ رفع عنى هذا الحرج الشديد . فى رسالة رقيقة قال لى فيها : (إن لدى قدراً من التحضر أستطيع من خلاله أن أتفهم أسباب اعتذارك بحب) فلقد كان لنا حوارات طويلة عن «العسكرتاريا» ، والتى انتشرت فى دول العالم الثالث بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وظهور «الهيمنة الأمريكية» وإسقاطها لأنظمة ديمقراطية كثيرة ، بعد أن رأت أن هذه الوسيلة هى أسهل السبل لسد فراغ الدول الاستعمارية التى رحلت عن دول العالم الثالث ، وهذه الوسيلة هى إقامة الحكم الشمولى ، وتجميل صورة هذا الديكتاتور «العادل» ! !

ولذلك . . فهمت من رسالة الكاتب الصحفى محمد مصطفى مايقصد بجملته «أتفهم أسباب اعتذارك بحب» .

أذكر خلال حواراتنا سوياً : ـ الأستاذ محمد مصطفى وأنا ـ أن سألنى :

- أنت لست من جيل الأستاذ / محمد حسنين هيكل ، وأذكر أنك لم تعمل معه فى صحيفة واحدة ، ورغم ذلك . . أراك مختلفاً معه . . لماذا ؟!

قلت للصديق :

- بل أنا لم ألتق به فى حياتى سوى مرة . . أو مرتين وبالصدفة ولمدة دقائق . . وخلافى معه مهنى وسياسى . . فهو من خلال الحكم الشمولى اختصر كل الصحف المصرية فى صحيفة الأهرام فقط ، واختصر كل الصحفيين المصريين فى شخصه ، وعلى المستوى السياسى فأنا أبغض كل من يروج لديكتاتور .

وحزنت أن يروج الصديق محمد مصطفى للرئيس السودانى السابق جعفر محمد نميرى ، الذى قال فى مؤتمر شعبى قبل شهور قليلة من الانقلاب عليه

«اسمعوا . . لن أكون أبداً رئيس السودان السابق . . سأحكم السودان مدى الحياة» .

وكان النميرى صادقاً ، فلا يوجد ديكتاتور سابق ، ولكن يوجد ديكتاتور مغتال ، أو مقتول ، أو مرحوم ، وربما يكون جعفر نميرى من القلائل الذين فلتوا من المصائر الثلاثة وقدر له مصير رابع .

ولو عرف هؤلاء . . أن من يلغى حوار العقل ، يستدعى البديل فوراً . . وهو حوار الرصاص ، وهم لايدركون هذه الحقيقة البسيطة فيسقطون فى إحدى النهايات الثلاث أو الأربع . . إضافة إلى نهاية نميرى .

قررت أن أعتذر ، ولكن اعتذارى لايلغى قراءة كتاب الصديق ، ثم عتابه فى جلسة حوار عن ترويجه لأفكار نميرى ، وساعدنى فى قراءة الكتاب ما أعرفه عن الكاتب الصحفى من تقديمه الجيد لأفكاره ، وسهولة كلماته ، ورشاقة اسلوبه، ووضوح الرؤية لما يهدف إليه .

وبدأت فى القراءة . .

وأحسست ـ بعد القراءة ـ أننى أقرأ أول محاكمة علنية لرئيس دولة ، كان يصعب مجرد نقده ، فإذا بالكاتب الصحفى محمد مصطفى يضع نميرى فى قفص الاتهام ، ويوجه له بشجاعة كل الاتهامات التى وجهت للرجل خلال حكمه للسودان على مدى ستة عشر عاماً :

*** أنت متهم بقضية تهريب «الفلاشا» بالتعاون مع المخابرات الأمريكية والموساد الإسرائيلى ، وأن اللواء عمر الطيب رئيس جهاز الأمن قد حصل على مليون ونصف مليون دولار من أمريكا وإسرائيل مقابل هذه العملية . . فكم أخذت أنت ؟**

*** الشعب السودانى ، أحق الشعوب بالديمقراطية ، وأنت قوضتها . . واغتلتها . . ماقولك ؟**

*** إن الزراعة فى السودان قد تقلصت فى عهدك . . فماذا تقول ؟**

*** * إنك نكلت بخصومك السياسيين ؟**

*** * إن تطبيقك للشريعة الإسلامية . . هو محاولة منك للخروج من الأزمة الاقتصادية ؟**

وعشرات الاتهامات ، والتى وجهها الكاتب الصحفى محمد مصطفى للرئيس السودانى السابق جعفر محمد نميرى . . وهنا يقول الكاتب ـ وأتفق معه ـ عن هدف إصدار هذا الكتاب «ليست المسألة بأى حال ، تلميعاً لشخصية انحسر الضوء عنها ، أو إعادة طرحها على الساحة ، أو فرضها عليها لسبب أو لآخر ، إنما إعادة لطرح قضايا هامة ، وإتاحة فرصة لمسئول كبير سابق لكى يقول ما يعتقد أنه يفيد فى إعادة تقييم التاريخ الذى كان هو جزءًا منه فى يوم من الأيام ، ولكى يعيد بنفسه قراءة تاريخه وكتابته .

فى هذا الكتاب يحاول الكاتب ـ قبل أن ندخل معه محاكمة نميرى ـ أن يحل لغز تلك القارة الصغيرة ، والتى اسمها : السودان .

لم يتمكن الكاتب من حل لغز هوية السودان ، فهوية السودان لها(٥٣٠) إجابة مختلفة بعدد قبائل السودان فى الشمال والجنوب ، ولكنه لغز الأزمة الاقتصادية حيث إمكانيات دولة غنية ، لكنها إمكانيات لاتستغل أو تستغل بشكل سىء لايؤدى إلى التحول نحو الغنى ، ولكنه يدعم مسيرة الفقر .

وأتصور أن ظهور مشكلة فى الجنوب السودانى بقيادة العقيد جون جارانج إنما بسبب عدم إمكانية الشمال ـ على مدى السنوات الطويلة الماضية والحالية ـ فى حل المشكلة الاقتصادية وأيضاً المشكلة السياسية ، وأن جارانج هو الدليل على حوارات الرصاص .

يتحدث الكاتب ـ وأتفق تماماً معه ـ عن الجبهة الإسلامية السودانية ، بزعامة حسن الترابى الحاكم الحقيقى للسودان حالياً ، وأن هذه الجبهة أدت إلى استمرار السودان فى خط الأحزان ، وعدم الاستقرار ، وعدم القدرة على الاتفاق ، وتسيير الأمور الداخلية ، بل وليسمح لى الكاتب الصحفى محمد

مصطفى أن أضيف بأن الجبهة الإسلامية ستزيد من تعقيد مشكلة الجنوب ، وستدفع بالخلافات بين شمال الوادى : مصر، وجنوبه : السودان ، وهذه الجبهة لم تقرأ التاريخ جيداً ، وخاصة تلك العلاقات التى تربط الشمال والجنوب ، ولاتعلم كم من الأنظمة تحطمت ، وهى تحاول إفساد تلك العلاقة التاريخية بين الشعبين .

الآن . . وبعد أن قدَّم الكاتب موقع المحاكمة ، وتعريفاً بالقضية ، فيأخذنا معه داخل المحكمة ، حيث يجلس فى قفص الاتهام لأول مرة رئيس دولة عسكرى ، لتبدأ محاكمته علناً . لقد كانت الجلسة الأولى من العاشرة صباحاً ، حتى الثانية والربع ظهراً .

وتستمر المحاكمة . . سريعة متلاحقة . . يدافع فيها الرئيس السابق عن نفسه . . أمام محكمة تاريخية حقيقية . . يكشف أسرار إرسال الفلاشا إلى إسرائيل . . يدافع عن قوانين سبتمبر . . يدافع عن تعاونه مع الجبهة الإسلامية . . يدافع عن العلاقات المصرية السودانية . . ويصل به الأمر إلى الدفاع عن كل قيادات ثورة مايو التى قادها . . ثم يعقد المقارنات بين سودان نميرى . . وسودان مابعد نميرى ويحذر بشدة من الجبهة الإسلامية وقائدها حسن الترابى .

الكاتب الصحفى محمد مصطفى ، كان هنا يمثل الإدعاء ، بعد أن درس القضية ، ولكنه لم يكن القاضى فى هذه المحاكمة . . فترك الحكم للقراء . .

وجاء الحكم سريعاً . .

كان الكاتب الصحفى قد نشر هذه «المحاكمة» فى جريدة السياسة الكويتية على حلقات ، وما أن نشر المحاكمة ، حتى انهمرت عليه الرسائل ، رسائل من السودانيين من السودان وخارج السودان ، نستأنف الحكم الذى لم يصدر ، وتطالب الكاتب أن يعيد محاكمة نميرى مرة أخرى .

وفعلاً . . اتصل الكاتب بالرئيس السودانى . . ودعاه إلى قاعة المحكمة من جديد بناءً على طلب ممثل الشعب السودانى فى كل مكان على هذه

المعمورة . . وأخذ الاتهامات الساخنة . . وأقام المحاكمة . .

وفى المحاكمة الثانية . . يفتح نميرى جعبة الأسرار . . يتحدث عن ندمه لتعيينه اللواء سوار الذهب وزيراً للدفاع . . والعفو عن صادق المهدى والذى كان محكوماً عليه بالإعدام ، وتحدث عن تدخله فى القضاء . . وتحدث عن اضطهاد الديمقراطية فى عهده ورؤيته ومفهومه للديمقراطية . . وتحدث عن إطلاق حرية القطاع الخاص وإعادة كل شىء من الأشياء المؤممة لأصحابها . . وتحدث عن الحكم الشمولى والذى يراه أفضل الأشكال للحكم فى السودان . . ويرى أن الذى يحكم السودان هو الترابى وليس البشير . . يؤكد ذلك للمرة العشرين . . وقال إن السجون كانت لأعداء الوطن . . وكشف أسرار قصف جزيرة أبا . . كما كشف قصة محمود محمد طه ، الرجل المسن الذى صدّق على التوقيع بإعدامه . . وكشف الستائر عن العلاقات السودانية الليبية .

وحتى فى الجلسة الثانية من محاكمة نميرى . . لم يصدر الكاتب الصحفى محمد مصطفى حكماً ببراءة أو إدانة نميرى . . فلقد حرص من بداية المحاكمة حتى نهايتها أن يكون ممثلاً للادعاء . . ويترك الحكم للشعب السودانى .

مما لاشك فيه . . أننى قضيت ساعات ممتعة ومثيرة للغاية خلال قراءتى لهذه المحاكمة . . حتى أننى كدت أن أراها أمام عينى شخوصاً تتحرك . . أمام الكواليس وخلفها . . فى وضح النهار وفى الظلام . . وقد أضافت هذه المحاكمة المثيرة لى الكثير من المعلومات والأسرار ، وكانت ـ أيضاً ـ بالنسبة لى حيثيات لحكم شخصى أصدرته عقب الانتهاء من قراءة تلك المحاكمة المثيرة .

وهنا . . قد يسأل سائل : وماهو هذا الحكم ؟
أقول : أعد قراءة هذا التقديم مرة أخرى . .

وجيه أبو ذكرى

قبل أن نقرأ

كانت البداية . . حواراً ساخناً بين عدد من الأشقاء السودانيين حول فترة حكم الرئيس الأسبق نميرى . . وخلال هذا الحوار الذى كنت أتابعه باهتمام سمعت عبارة من أحدهم يقول فيها :

«أن نميرى هو المشجب الذى تعلق عليه كل أمراض السودان . . حتى تلك الكوارث التى سبقت حكمه أو التى تشهدها السودان بعد أن ترك موقعه» .

من هنا كانت البداية . . فقد تأملت هذه العبارة . . ثم قررت بعدها أن أجرى حواراً مع الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نميرى .

كان فى ذهنى أن أبدأ بسؤال نميرى عن الحال ، والأحوال بعد أن ترك السلطة ، وأتطرق بعد ذلك إلى القضايا التى استمعت إليها خلال الحوار الساخن بين الأصدقاء السودانيين والتى شاركت فى جانب منها .

لكن الذى حدث هو أن الحوارات مع الرئيس نميرى قد طالت ، وعادت إلى الحال والأحوال السابقة ، بل تعمقت أكثر لتتناول قضايا حادة لايزال الجدل ثائراً حولها حتى بعد انحسار الأضواء عن نميرى لمدة تجاوزت (٥ سنوات) ، وبالطبع فإن لهذا الجدل مايبرره ، فلم يكن نميرى رئيساً عادياً ، فقد حكم السودان فترة طويلة ، واستطاع أن يستقر فوق هذا البركان الشديد الثورة لمدة (١٦ عاماً) منذ عام ١٩٦٩ وحتى عام ١٩٨٥ عندما أطيح به فى انقلاب عسكرى ، وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمن وقعت كثير من الأحداث لم تتفجر الكثير من أسرارها إلا بعد أن ترك نميرى السلطة وبصرف النظر عما يثار حول نميرى من جدل . . فقد كان الحوار ، هاماً ، وناجحاً أيضاً من وجهة النظر الصحفية ، فقد كانت الحلقات التى نشرت كحوارات مع نميرى سبباً فى تفجير بعض القضايا من جديد ، وسبباً فى إثارة ردود أفعال قوية .

وليست بأى حال من الأحوال طرفاً فى المشكلة ، لكننى مراقب أحاور وأرصد ، وقد اخترت هذه الوسيلة الشائكة منذ البداية رغم معرفتى بطبيعة ماقد يترتب عليها من ردود أفعال وهو أمر يتعلق بقناعتى . بأن من حق أى طرف أن يقول مايريد ، وبأن من حق الناس أن تسمع ، وأن تحكم ، وترد بما ترى أنه يفيد قضية السودان . . وهناك أيضاً سبب آخر لاختيارى السير فى هذا الطريق هو قناعتى أيضاً بأننا يجب أن نعرف عن السودان . . المزيد .

ولعل من الظواهر التى يجب الوقوف عندها ، هو ذلك الانقسام الحاد لآراء الأخوة الأشقاء فى السودان حول «جعفر نميرى» إلى معسكرين .

الأول : لديه تحفظات كثيرة على فترة حكمه للسودان ، ويرى أطرافه أنها تسببت فى كوارث لايزال السودان يعانى من آثارها .

والثانى: يؤيد كثير من السياسات التى اتبعت فى تلك الفترة ويرى أنها كانت ملائمة ، وأن الأحوال حالياً ليست بأفضل مما كانت خلالها ، وبين المعسكرين «فريق ثالث» يميل إلى التحليل الهادىء والموضوعى الذى يؤكد أنها مرحلة ، مثل كل مرحلة سياسية ، لها إيجابياتها التى تحسب لها، ولها أيضاً سلبياتها التى تؤخذ عليها.

المعسكر الأول: يطلق سهامه ضد نميرى ، ويرصد أخطاء مرحلته ، وتقرر أطرافه أن أخطاء نميرى لم تختف آثارها بعد ، تلك الأخطاء التى يجب أن يحاكم عليها وأهمها : قضية تهريب «الفلاشا» ، وتقويض الديمقراطية والتنكيل بخصومه السياسيين ، ودفع الأوضاع الاقتصادية إلى التردى خلال سنوات حكمه ، ثم السياسات الاقتصادية التى اتبعها فى مراحل مختلفة خلال سنوات السبعينات ، والتى أدت إلى تدهور وعجز ميزان المدفوعات بصفة عامة .

ولأن الاقتصاد السودانى يعيش فى «أزمة» هى الأقرب الآن إلى أذهان الجميع فقد تركزت هجمات هذا المعسكر على تفصيلات السياسة الاقتصادية لجعفر نميرى ،فهم يرون: أن الزراعة قد تدهورت فى عهده ، وتقلصت الصادرات تبعاً لذلك ، وتقلصت قدرتها على سد الحاجات المحلية للمواطنين ، ويؤكدون :ـ أيضاً ـ أن نسبة التضخم ارتفعت فى عهد نميرى لتصل إلى (٨٠) فى المائة وأكثر عام ١٩٨٤ بينما لم تكن تتعدى نسبة (١٠) فى المائة فقط خلال الفترة

من عام ١٩٦٢ ، وحتى عام ١٩٧١ ، مما أدى إلى تخفيض قيمة الجنيه السودانى (١٣ مرة) خلال السنوات التى سبقت انقلاب إبريل ١٩٨٥ ، وهى أمور أشرنا إليها بشكل عام قبل ذلك ، لكننا نكررها هنا لأهميتها فى عقول المعسكر المعادى لنميرى ، ولأن المعسكر يحمل نميرى بالذات تبعاتها . وتستمر المحاكمة .

فقد أنشأ نميرى حسب رأى هذا المعسكر أخطر جهاز أمنى عرفته السودان ، وأثيرت حوله أقاويل مختلفة تتركز حول ممارساته القمعية ضد المواطنين ، ثم سماحه باستشراء الفساد فى عهده ، خاصة الفساد الاقتصادى الذى انتج سوقاً سوداء ، وسوقاً للاتجار فى العملة .

وتتركز الأصوات بعد الاقتصاد ، والأمن . . على السياسة الخارجية . .

فتهمة تهريب «الفلاشا» لاتزال تثير الأذهان ، فهم يقررون أن اللواء عمر الطيب رئيس جهاز أمن الدولة حصل على (١٫٥) مليون دولار من المخابرات المركزية الأمريكية ، و«الموساد» الإسرائيلى مقابل تهريب المجموعات الأولى من «الفلاشا» عام ١٩٧٧ ، حيث قام ضباط يعملون تحت رئاسته مباشرة بعمليات فرز «الفلاشا» من بين اللاجئين الاثيوبيين للسودان . ونقلهم بالسيارات لمسافة أكثر من «١٥٠٠» كم داخل الأراضى السودانية إلى مطار الخرطوم ، وترحيلهم ، ولاتزال قضية «الفلاشا» محل اهتمام .

وتتجه الاتهامات إلى «السلوك السياسى» لنميرى . .

فقد تأرجح نميرى - حسب أقوال خصومه - بين التيارات السياسية المختلفة ، يؤيد اليسار مرة واليمين مرة أخرى ثم انحيازه بشكل مفاجىء إلى الجبهة الإسلامية بما قاده إلى تطبيق الشريعة الإسلامية بأسلوب يصفونه بأنه خاطىء تسبب فى إثارة مشاعر وسخط الشعب السودانى رغم تدينه الفطرى ، وارتباطه بالجماعات الصوفية المؤثرة فى حياته الاجتماعية والسياسية .

وتتواصل الأقوال :

أن الجبهة الإسلامية قد استطاعت خداعه ، وأدت فى النهاية إلى إنقلاب الشارع السودانى ضده ، وأدت سياساتها إلى سقوطه ، بل ويذهب بعض

الخصوم للقول بأن الجبهة الإسلامية قد تآمرت ضده منذ البداية رغم التحالف الظاهرى ، ولم يتنبه هو لذلك ، بل ساهم فى زيادة قوتها وتأثيرها فى الشارع ، والحياة السودانية بشكل عام ، وعندما تنبه لذلك ، كان الوقت قد تأخر .

ومعنى كل ذلك . . ببساطة . . أن كل الأوجاع السودانية الحالية قد ظهرت فى فترة نميرى . وأنه السبب فى كل مشاكل السودان ، وأن اليوم هو ابن الأمس دون تدخل من أحد . . هكذا يقولون . .

لقد سمعت كل ذلك . . قبل أن أبدأ حواراتى مع نميرى . . وحرصت على أن أنقله إليه فى شكل أسئلة اتهامية كما قيل بالضبط . . ودون تحريف ، أو حتى تخفيف .

والمعسكر الآخر له رأى مختلف . .

وقد سمعت ذلك أيضاً . . وناقشته . . يقولون بأن الصورة السياسية السودانية قبل مايو ١٩٦٩ ، لم تكن أفضل مما كانت عليها خلال حكم نميرى ، فلم يتسلم نميرى السودان قوية ثم قام بإضعافها، ويقولون أيضاً: أن نميرى قد ترك السلطة منذ «٦» سنوات ، ومع ذلك يمكن التساؤل على حد قولهم ، عن صورة الاقتصاد السودانى الحالية ، ونسبة التضخم ، وعدد مرات تخفيض قيمة الجنية السودانى ، وحجم المجاعات التى يعيشها السودان هذه الأيام ، وسوف توضح إجابات هذه التساؤلات ما إذا كانت فترة نميرى إيجابية ، أو سلبية .

ويتساءل كثيرون من المعسكر الآخر . . أين هى الديمقراطية التى قوضها نميرى الآن ؟ ، وهل يمكن اعتبار الشكل الحالى من الممارسة السياسية فى عهد عمر البشير وخلفه الجبهة الإسلامية التى تسانده ، أو بالأصح تقوده شكلاً ديمقراطياً ؟ وهل يمكن اعتبار ممارسات جهاز الأمن فى الفترة الحالية ممارسة إيجابية غير قمعية ؟

ويقول أحدهم : أننا نترك الإجابات عن هذه الأسئلة لخصوم نميرى .

لقد حدثنى شقيق سودانى عن تلك القضايا فى إطارها العام بشكل مختلف قليلاً عما يطرحه المعسكران السابقان .

فقال : إنه يجب التساؤل أولاً عن معنى الديمقراطية قبل أن نتحدث عن ديمقراطية نميرى ، أو ديمقراطية من سبقوه أو جاءوا بعده .

وقال : أننا يجب أن نتساءل عن الديمقراطية التى يعيشها السودان اليوم فهى الأقرب إلى الأذهان .

ثم قال : هل الديمقراطية هى ديمقراطية الفقر والجوع ، والندرة ، والاغتراب ، والانقسام السياسى ، والدجل ، وتخريب السلام الاجتماعى ، والانحدار بالخطاب السياسى ، وانكسار الأمن القومى ، واختراق الجبهة الداخلية وتحويل السودان إلى مسرح لصراع القوى الأجنبية وتكريس الدكتاتورية المدنية . هل هذه هى الديمقراطية ؟

ثم يقول : هذه هى ديمقراطية السودان الآن . إنها ديمقراطية قام باسمها أكثر من (٤٠) حزباً ، و(١٠٠٠) تجمع و(١٠) آلاف رابطة ، و(٤٠) صحيفة مجهولة الهوية والتمويل .

ويلتقط مواطن آخر معسكر أنصار نميرى خيط الحوار فيقول : أن الديمقراطية ليست حرية بيع اليورانيوم ، أو سقوط (٨٠) مواطناً فى شهر واحد برصاص «الحكم الحزبى» وليست حرية بيع التراخيص ، والاتجار بالسودان مع الخارج .

ويقول : أن نميرى حاول إدارة البلاد فى ظل توجه إسلامى ، فله أجر المجتهد ، لكن الجبهة الإسلامية هى التى أفسدت مسار الحكم . .

ويضيف مواطن سودانى آخر: إن الأحداث الواضحة لا تحتاج إلى دلائل كثيرة لإثباتها لكنها تحتاج إلى التلفيق والكذب والتزوير لطمس معالمها ، فادعاء أن مايحدث حالياً فى السودان هو نتيجة لعهد نميرى مجرد افتراء ، خاصة اتهامه بتقوية «شوكة» الجبهة الإسلامية ، فمن المعروف أن الاتجاه الإسلامي قد شارك فى «سلطة مايو» بعد المصالحة الوطنية عام ١٩٧٧ ، وبغض النظر عن نوايا قادة

هذا الاتجاه فقد كانت مشاركتهم فى السلطة انعكاساً لسعى ثورة مايو لوضع صيغة قومية للحكم تشارك من خلالها كافة الأحزاب فى العمل الوطنى ، وقد كانت ثورة مايو صادقة فى مساعيها ، لكن الأحزاب شاركت ضمن مخطط أعدته لاحتواء الثورة .

. . وقضية الفلاشا ؟ !

يقول . . أحد أنصار نميرى : أنها قضية تثار للإساءة إلى الرئيس السابق فهى لا تتعدى أية قضية خاصة باللاجئين ، فالتهجير لم يتم إلى إسرائيل مباشرة لكن إلى دول أوربية ، وعلى من يحاولون أن يضعوا نميرى موضع التواطؤ مع الصهيونية أن يعودوا إلى مضابط قسم الأجانب بوزارة الخارجية السودانية ليعلموا أن تهجير اليهود لم يتوقف عبر السودان بعد انتكاسة أبريل ١٩٨٥ .

ولايزال «معسكر نميرى» يدلى بأقواله .

أن الأوضاع الاقتصادية فى عهد نميرى ـ كما يقول أحدهم ـ يجب أن تفهم بشكل مختلف ، فلم تورثنا الحزبية سوى الوعود والشعارات ، بعد أن قامت ثورة مايو بإنجازات حقيقية هائلة من شق للطرق ، وحفر للقنوات ، واقامة للمصانع ، وتطوير للتعليم والصناعة والزراعة والخدمات الاجتماعية ، ورغم ذلك يحاول أعداء مايو ، أن يثبتوا عكس ذلك . .

ويضيف نفس المواطن من نفس المعسكر . . أن الإنجاز الوحيد الذى تحقق منذ انتكاسة أبريل وحتى الآن هو الانهيار التام للاقتصاد السودانى الذى أصبح يعيش على التسول من الدول التى تشترى من السودان مواقفه ، وكرامته ، واستقلاله وتستخدم أراضيه كمخازن للأسلحة الفتاكة مقابل فتات تلقى بها إلى حكامه الحاليين .

وبعيداً . . عن الهجوم الحماسى ، والدفاع المستميت . يوجد المعسكر الثالث توجد تلك الفئة الأكثر هدوءًا فى النظر إلى الأمور، والأكثر توازناً فى تحليلها لتطور السودان فى عهوده المختلفة . . وهو معكسر ، لايسير فى ركاب أحد ، لكنه أيضاً ينظر للواقع العام فى كل مراحله نظرة أقرب إلى المأساة .

المهم . . بعد كل ذلك . .

لقد حاولت أن أنقل صورة هذا التباين الشديد فى الاراء بين معسكرين اتفقا على الاختلاف بتوازن شديد ، ولم أنقل كل ماقيل بالطبع ، فهناك الكثير ، لكن الخريطة العامة واضحة ، ومن بين كل ماسمعته لاحظت اتفاقاً واحداً وهاماً للغاية مضمونة أن المرحلة التى يعيشها السودان اليوم . . سيئة ، بغض النظر عن تقييم فترة نميرى .

أن الموضوع شائك . . هذا ماأردت أن أقوله فى الصفحات السابقة ، وكان إعـداد هذا الكتـاب الذى يعتمد فى جانب كبير منه على حوارات مع نميرى «شائكاً» أيضاً ، فقد كان ولابد من تناول قضايا كثيرة لايزال الجدل يثار حولها ، وأزعم: أن الحـوارات المنشورة فى الكتاب مع الرئيس السودانى الأسبق وصلت لدرجة من الضخامة فى الكم ، والشمول فى الكيف غير مسبوقة فقد اعتدت على توجيه أسئلة حادة ، اتهامية ، مباشرة تغطى مساحة عريضة من الزمن ، وعمقاً كبيراً للقضايا التى استعنت فى اعدادها بعدد كبير من الكتب ، والأبحاث ، والتقارير المتخصصة ، كما قمت خلال فترة اعدادها بلقاء عدد كبير من الأصدقاء السودانيين ، والزملاء المتخصصين فى الشئون السودانية ، وكانت النتيجة مُرضية بالنسبة لى ، وإن كنت أترك الحكم النهائى عليها بالطبع للقراء . . فهم الحكم الأخير . ولاأريد أن أضيف المزيد .

بقى أن أقـول . . أن التجربة التى عشتها فى اعداد هذا الكتاب تجربة فريدة فى كل شىء بالنسبة لى ، فالسودان ليس «قارة» فقط لكنه عالم بأسره يجب أن نهتم به أكثر ، ويجب أن نعرف عنه الكثير . ومن ناحية أخرى يجب أن تترسخ لدينا قناعات ثابتة فى تناول الموضوعات الخلافية حول حق كل إنسان فى الدفاع عن نفسه إذا ماتعرض لاتهام ، وحقه فى أن تتاح له فرصة تفسير مايعتقد غيره أنه ارتكبه من أخطاء خاصة إذا كان هذا الإنسان «شخصية» عامة أثرت بشكل أو بآخر فى حركة التاريخ ، ولاسيما وأننا فى عصر يصعب فيه خداع القارىء الذى أصبح «مسلحاً» بوعى ومعرفة تمكنانه من أن يفرق بين حقيقة مايقال ، وواقع يحدث . . والتاريخ بصفة عامة لايسجل فى صفحاته فى نهاية الأمر إلا

الحقائق حتى لو أراد البعض أن يدخل إليه غير ذلك .

شىء آخر . . قد لايكون أقل أهمية ، فإن هذا الكتاب يتناول وقائع تاريخية لمرحلة حكم مثيرة للجدل ، وأنا أفضل دائماً اختيار مثل هذه الشخصيات بعد أن أكون قد درست كل ماأثير حولها ، وبعد أن يكون قد مر وقت مناسب للتأمل والتقييم وبعد أن تخفت الأضواء من حولها بما يصاحب ذلك من اختفاء لمعالم السلطة ، وملاحم النفاق ، والمجاملة ، وهدوء المشاعر ، واستقرار الأحداث ، وابتعاد عصا الصولجان وبريقها .

وعادة مايتحدث مثل هؤلاء الأشخاص المؤثرين بعد فترات من التأمل ومراجعة النفس ، والتصالح معها بعيداً عن المؤثرات ، بما يتيح فرصة أكبر لأن يحل الواقع محل خيالات كثيرة سادت من قبل .

ماأريد أن أقوله . . أن الوقائع التى ترد فى هذا الكتاب يجب أن ينظر إليها بعناية بعيداً عن كونها «دفاعاً» عن أخطاء ، أو غلطات سياسية ، فإذا كانت القضايا لاتزال مثيرة ، والشخص لايزال كذلك أيضاً ، فأنه فى داخله قد أصبح أقل ثورة ، وأكثر قابلية للحديث الهادىء ، وأكثر استعداداً لسماع الرأى الآخر ، ومناقشة الرأى الآخر ، وأحياناً ، القبول بهذا الرأى الآخر .

هذه هى تجربتى ، فرغم ثورة القضايا على الورق ، فقد كانت ثورتها قبل أن تكتب ، وبالتحديد عندما قيلت ، أكثر هدوءاً وأكثر جدية . . فلابد من فهم المسألة فى حدود هذا النطاق . . نطاق أنها قضايا مثيرة تطرح بجدية بعد أن هدأت مشاعر صانع القرار السابق ، وليست المسألة بأى حال ، تلميع لشخصية انحسر الضوء عنها ، أو إعادة طرحها على الساحة ، أو فرضها عليها لسبب أو لآخر . . وإنما إعادة لطرح قضايا هامة ، وإتاحة فرصة لمسئول كبير سابق لكى يقول مايعتقد أنه يفيد فى إعادة تقييم التاريخ الذى كان هو جزءاً منه فى يوم من الأيام . ولكى يعيد بنفسه قراءة تاريخه وكتابته . .

ومادفعنى إلى هذه الكلمات هو تلك القيامة التى قامت ولم تقعد عقب نشر حلقات الحوارات الطويلة مع الرئيس الأسبق جعفر نميرى على صفحات جريدة «السياسة» الكويتية فقد فوجئت بعشرات من الرسائل عقب نشر كل حلقة

تحتوى كل رسالة على مئات القضايا والاتهامات ، والتأييد ، والتجاوزات ، والتساؤلات ، والتنظيرات أيضاً . . وازدادت الرسائل سخونة مع نشر مزيد من الحلقات ، وكان الأخوة السودانيون هم بالطبع «فرسان النقاش» فهى أولاً وأخيراً قضيتهم ، ولم يقتصر الأمر على الرسائل ، فلم تهدأ خطوط التليفونات فى مكتبى منذ بداية النشر وطوال أسبوعين متصلين سمعت خلالهما أصواتاً من دبى ، وجدة والقاهرة ، والرياض ، وقطر ، ومن لندن وباريس أيضاً ، وكانت دهشتى كبيرة عندما سمعت أصواتاً تأتى من السودان رغم ما تحمله الحلقات من هجوم ضد نظام الحكم فيها ، وعلمت فيها بعد أنه تم تداول أول أعداد من الجريدة سراً بين الأشقاء فى السودان بعد أن تم تهريب تلك الأعداد إلى الخرطوم .

وبصرف النظر عن تفاصيل ردود الأفعال ، فقد كنت سعيداً بهذا الاهتمام ، حيث كانت حلقات الحوار حملة صحفية ناجحة بكل المقاييس ، مما دفعنى إلى إعادة الاتصال بالرئيس الأسبق نميرى لأبلغه رغبتى فى إعادة فتح الملف بصورة أكثر اتساعاً بناءاً على ردود الأفعال ، وبأسئلة أكثر سخونة ، ومباشرة هذه المرة ، وهو ما حدث . . فقد رحب الرئيس نميرى بذلك ، وأجاب بصبر عميق على كل الأسئلة دون احساس بنفاد صبر ، أو بأى ضيق خاصة بعد أن كنا قد نشرنا جانباً كبيراً من هجوم بعض القراء عليه دون حذف أى شىء حتى مااعتقدنا بصدق أنه تجاوز لايليق فقد كان الهدف هو وضع الصورة العامة بكل ملامحها الانفعالية أمام القارىء . . ورغم ذلك فقد أجاب الرجل .

. . وبعـــــد .

بقيت كلمة قصيرة ، وهى أن ما يضمه هذا الكتاب بكل ما يحمله من آراء سواء للرئيس نميرى ، أو لمن هاجموا أقواله ، أو من اتفقوا معها ، قد رصد دون أدنى تدخل منى فى ذلك . . ويبقى تقدير الخطأ والصواب من حق القارىء كما قلت ، ومن حق جماهير الشعب السودانى الشقيق قبل الجميع ، فهى قضيتهم ، ولديهم بالطبع الوعى الذى ينطلق من حضارة عريقة تضرب جذورها فى أعماق التاريخ . .

« محمد مصطفى »

السـودان .. ذلك اللغـز !



■ السودان ذلك العز ■



يصعب الحديث عن السودان فى صفحات قليلة ، فهو يحتاج إلى مجلدات كبيرة لكن أياً كان حجم الصفحات ، فهناك أمور مشتركة تخيم على عقل كل من يحاول الاقتراب من السودان ، أو النظر إليه من بعيد . . أمور محيرة ، ولا أريد أن أقول «غريبة» فأوضاع السودان الاقتصادية لغز ، وتركيبته الاجتماعية لغز ، وتطوراته السياسية معضلة وربما كان مفتاح فهم السودان هو ذلك الوصف الذى أطلقه أحد السياسيين السودانيين عندما قال «إنه عالم أفريقى مصغر» ، فالسودان قارة صغيرة بالفعل رغم قلة عدد سكانه بالنسبة لمساحته ، فعدد السكان لايزيد عن (٢٣) مليون نسمة منهم (٦) ملايين نسمة يسكنون فى الجنوب ، ورغم ذلك الحجم الضئيل ينقسم السكان إلى (٥٦) جماعة من أصول عرقية منفصلة عن بعضها ، وتنقسم هذه الجماعات هى الأخرى إلى (٥٩٧) مجموعة عرقية فرعية فى مناطق شمال السودان وجنوبه ، بل إنه توجد فى الجنوب وحده أكثر من (٢٥٠) قبيلة تتحدث عدداً يصعب أن يحصى من اللغات واللهجات المكتوبة ، وغير المكتوبة والتى تقدر أعدادها بحوالى (١١٥) لغة ولهجة محلية منها العربية ، والنوبية والدارفورية فى الشمال ، والدنكا ، والنوير ، والزاندى ، والمورو ، والباك فى الجنوب .

ويثير هذا التنوع الشديد مشكلة لاتزال تواجه السودان حتى اليوم ، ولايتوقع لها أن تحسم بسهولة ، أو فى وقت قريب ، وهى مشكلة هوية السودان ، فلايوجد اتفاق عام بين السودانيين على إجابة لسؤال هام حول «ماهو السودان» ؟ وما معنى أن يكون الشخص سودانياً ، وإلى أى شعب ينتمى ، وهل هم عرب ، أم أفارقة ، أم الاثنان معاً ، والإجابة أعقد دائماً من السؤال ، فهناك تقريباً أكثر من (٥٣٠) إجابة بعدد قبائل السودان شماله وجنوبه ، وتشترك تلك الإجابات مع بعضها فى بعض الخطوط ، وإن كانت تختلف حسب المناطق ، وأصول القبائل المتقاربة ، وتفسر الجغرافيا جزءاً من الاختلاف ، ففى كل إقليم تسود أفكار معينة حول هوية «السودان» .

ففى شمال وادى النيل : حيث تسكن قبائل النوبة التى تتحدث العربية

مختلطة ببقايا اللغة النوبية توجد مشاعر وأحاسيس متقاربة إلى حد ما مع واقع وسط السودان الذى تسكنه القبائل العربية مثل الكباش ، والكواهلة ، والجعليين ، والرشايدة ، ولاتبتعد تلك المشاعر كثيراً أيضاً عن أحاسيس سكان ساحل البحر الأحمر بهو يتهم حيث تسكن قبائل البشارية ، وبنى عامر والهذوة وهى تتكلم لغات «بائدة» ، لكن المشكلة الحقيقية توجد بين الشمال الذى يضم المناطق السابقة ، وبين الجنوب الذى يموج بالقبائل الزنجية مثل النوير ، والشيلك ، والكاوكا ، بالإضافة إلى أكبر قبائل الجنوب ، وهى قبيلة الدنكا ، التى ينتمى إليها «جون جارانج» قائد التمرد المسلح المستمر فى جنوب السودان منذ آواخر عهد الرئيس السابق جعفر نميرى ، وبالتحديد منذ عام ١٩٨٣ .

«حقائق بسيطة»

لكنها تمثل فى النهاية لغزاً محيراً . . اسمه السودان . .

فمنذ عدة سنوات تعرض هذا البلد الشاسع المساحة لفترة طويلة من الجفاف أدت إلى موت الآلاف من البشر ، والآلاف من رؤوس الماشية فى مناطق غرب وجنوب السودان ، ولم تنزل من السماء نقطة مطر واحدة ، فلم تأت الأنهار حتى بمجرد التدفقات العادية من المياه وتعذرت زراعة الأرض تماماً . . وفجأة . . كل شىء فى تلك الأرض يأتى على غير انتظار .

فجأة . . تدفقت السيول ، واندفعت نحو الأرض السودانية موجة كاسحة من الفيضانات المدمرة اجتاحت المناطق السكنية ، واجتاحت المناطق المزروعة لتأتى على ماتبقى له من موارد خلال تلك السنة . .

وتحولت المياه التى أتت إلى كارثة جديدة .

وليست الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى السودان بأفضل كثيراً من الأحوال الطبيعية ، فالتنوع ، والتقلب ، والكوارث المستمرة هى السمة الدائمة التى لاتريد أن تبتعد عن السودان لتترك له فرصة التقاط الأنفاس والسير فى طريق التنمية لكى تنزاح عنه عبارة : «**إنه واحد من أفقر بلدان العالم**» رغم أنه فى الحقيقة ، وكما تقرر حقائق موارده ، وامكانياته واحد من أغنى بلدان العالم ،





لكنها فى النهاية موارد لاتستغل ، أو تستغل بشكل سيء لايؤدى إلى التحول الضئيل نحو الغنى ، لكن إلى استمرار مشوار الفقر ، وعدم الاستقرار .

إن المشكلة المثارة هنا بين السودانيين هى هل هم عرب ، أم أفارقة ؟ ! ولم تكن مسألة الأصول العرقية لتمثل مشكلة حادة لو لم تكن قد انطبقت عليها ، وحددتها انقسامات آخرى توجد فى السودان ؛ منها الانقسامات الدينية ، **فالإسلام هو الدين السائد فى السودان حيث تؤمن به أغلبية السكان بما يتجاوز (٧٥) فى المائة من السودانيين** ؛ لكن توجد فى الجنوب نسبة لايستهان بها من الوثنيين ، **بالاضافة إلى أقلية من المسيحيين تمثل (٥) فى المائة من عدد السكان** تقريباً تضم هى الأخرى **«كاثوليك» و«بروتستانت»** ، و**«أرثوذكس»** .

وجزء كبير من مشكلة جنوب السودان يرجع ـ كما يقرر الجنوبيون ـ إلى تطبيق **جعفر نميرى** فى آواخر عهده لأحكام الشريعة الإسلامية فى السودان ، فغير المسلمين يمثلون ـ فى رأيهم : قطاعاً كبيراً من الشعب لايمكنهم : أن يعيشوا فى ظل هذه الأحكام التى تجعل منهم كما يقولون : مواطنين من الدرجة الثانية ، ولم يكن الدين من قبل يمثل أية مشكلة فى السودان الذى يتسم شعبه بالتسامح الشديد لكنه بدأ يمثل مشكلة فى الثمانينات ، ولم تحل هذه المشكلة حتى الآن بحكم استناد النظام الحالى فى السودان على **الجبهة الإسلامية** ، مما يمنعها من إلغاء القوانين الإسلامية .

فكل مشكلة مزمنة . . ولايبدو أن هناك حلاً سهلاً أو بسيطاً لها . وكل مشكلة لها جذور ، ولها تفريعات ، ويتمسك كل طرف بمعتقداته حولها .

وبالإضافة إلى الإنقسامات العرقية ، والدينية توجد انقسامات من نوع آخر أشد قسوة ، وتبدو هى الأخرى مزمنة ، وتعتبر من وجهة نظر البعض «الكارثة» الحقيقية التى تؤدى إلى تزايد ، وتراكم المشاكل الأخرى ، **وهى : التعددية والانقسام السياسى الواسع فى السودان** ، فالساحة السياسية منقسمة بين عدد كبير من القوى ذات الأهداف المتعارضة بشكل يبدو خلال سنوات التاريخ ، وكأنه لايوجد له حل ؛ فحزبا : الأمة ، والاتحادى كانا خلال التاريخ الحديث للسودان الحزبين الرئيسين فى الساحة ، وقد تبادلا الحكم فيما بينهما فى

سنوات ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٩ ، وائتلفت بعض أجنحتهما معاً فى بعض السنوات ، إلى أن أطاحت بهما حركة مايو «١٩٦٩» التى قامت بها القوات المسلحة بقيادة **جعفر نميرى** الذى استمر فى الحكم حتى **عام ١٩٨٥** ، **فأطاح** به انقلاب عبدالرحمن سوار الذهب ، الذى تخلى عن الحكم للمدنيين ليمثل نموذجاً إفريقياً نادراً لتخلى العسكريين عن السلطة ، **وعاد حزبا الأمة ، والاتحادى** إلى الحكم مرة أخرى بعد سنة واحدة من الإطاحة بنميرى ، لكنهما خاضا ضد بعضهما صراعاً مريراً هذه المرة انتهى بالإطاحة بهما مرة أخرى بانقلاب قادة المجلس العسكرى الحاكم حالياً بقيادة **الفريق عمر البشير فى عام ١٩٨٩** .

ويستند الحزبان الكبيران على الطرق الصوفية الكبيرة التى لاتزال تلعب دوراً مؤثراً فى الحياة السياسية فى السودان ، والتى يتبعها مريدون فى كل أنحاء البلاد ، ومن بين «٤٠» حزباً سياسياً تنتمى إلى تيارات اليمين واليسار لايكاد يوجد تأثير واسع إلا للأحزاب التى تعتمد على الطرق الصوفية .

فقد أنشأت الطريقة المهدية وزعيمها الروحى عبدالرحمن المهدى حزب الأمة عام «١٩٤٥» ؛ ليصبح أقوى الأحزاب فى الساحة السياسية السودانية ، بينما يستند الحزب الاتحادى على الطريقة الختمية وزعيمها الروحى السيد على الميرغنى .

وبالإضافة إلى هذين الحزبين توجد أحزاب اليسار المختلفة التى تعبر عن التيارات السياسية الرئيسية فى المنطقة العربية ، وهى الحزب : **الناصرى** وحزب البعث التابع للعراق ، وحزب البعث التابع لسوريا ، كما أن هناك **تنظيم اللجان الثورية التابع لليبيا** ، وهناك أيضاً **الحزب الشيوعى السودانى** الذى كان فى وقت من الأوقات فى منتصف الستينات أقوى الأحزاب الشيوعية فى العالم العربى ، وأفريقيا ، وتدهورت شعبيته بعد ذلك . .

كما توجد على الساحة أحزاب وقوى سودانية أخرى تمثل الجنوب بصفة أساسية كالمؤتمر الإفريقى السودانى ، والحزب القومى السودانى ، وتحالف أحزاب الجنوب الذى يعد أقوى الأحزاب الجنوبية ، بالاضافة إلى الحركة الشعبية لتحرير السودان ، التى تمتلك ميليشيات مسلحة قوية استطاعت السيطرة على

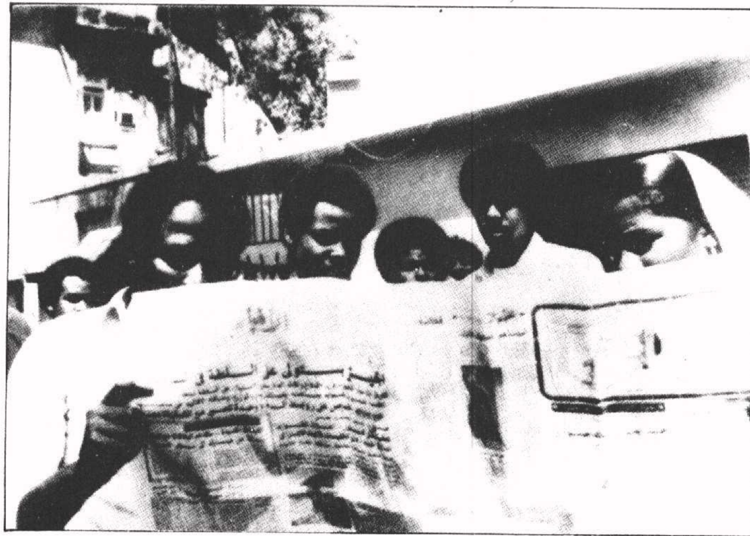
أجزاء كبيرة فى الجنوب والوقوف فى وجه السلطة فى الخرطوم ، ويرأسها بشقيها السياسى والعسكرى العقيد جون جارانج ، وتستند إلى قبيلة الدنكا القوية .

إلا أن سنوات الثمانينات شهدت صعوداً مذهلاً لقوة سودانية جديدة لم تكن مؤثرة من قبل ، وهى الجبهة الإسلامية . التى يرأسها الدكتور حسن الترابى ، وتعد إلى حد كبير بمثابة «الإخوان المسلمين السودانية» والتى تحالفت مع الرئيس السابق جعفر نميرى فى آواخر عهده واستطاعت أن تدفعه إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية فى السودان ، وظلت تحتفظ بقوتها رغم الإطاحة بنميرى لدرجة أنها فازت فى الانتخابات التى أجريت بعد تخلى سوار الذهب عن السلطة بعدد من المقاعد فى الجمعية التأسيسية «البرلمان» يقترب من عدد مقاعد الحزب الاتحادى . وتمثل الجبهة الإسلامية تحدياً قوياً للأحزاب الطائفية «التى تستند على الطرق الصوفية» ؛ فرغم ارتباط الجبهة ببعض تلك الطرق الصوفية إلا أنها تعتمد أساساً على «قوى حديثة» نشطة ، وتسيطر إلى حد كبير على قطاعات واسعة من الشباب ، والشارع السياسى السودانى ، ووصلت قوتها فى العامين الأخيرين إلى أنها استطاعت السيطرة على قطاع واسع من القوات المسلحة بما أتاح لها دعم قيام إحدى المجموعات المسلحة بقيادة الفريق عمر البشير بانقلاب سياسى أطاح بحكومة الصادق المهدى «حزب الأمة» المتحالفة مع الحزب الاتحادى ، واستمرت فى دعم الانقلاب حتى ترسخت أقدامه دون أن تعلن أنها تسانده ، ثم تم إعلان ذلك صراحة لتبدأ مرحلة جديدة فى تارخ السودان تتسم بسيطرة الجبهة الإسلامية على مقادير السلطة .

وأدت كل هذه التعقيدات ، وعدم قدرة هذه القوى السياسية على الاتفاق معاً إلى تعقيدات مختلفة فى إدارة الشئون الداخلية السودانية ، وأدت فى بعض الأحوال إلى حالات عدم استقرار شديدة فى الداخل ، واستمرت أحوال عدم الاستقرار لفترة طويلة وتعاقبت على السلطة حكومات مدنية تتم الإطاحة بها بانقلاب ، ثم انقلاب يطيح بانقلاب ثم انقلاب ثالث ، فحكومة مدنية ، ثم انقلاب رابع ، وهكذا . . استمر السودان فى خط الأحزان ، وعدم الاستقرار ، وعدم القدرة على الاتفاق وتسيير أموره الداخلية .



■ مظاهرة صاخبة - صورة مكررة في حياة الشعب السوداني ■



■ جماهير الشعب السوداني تتابع أنباء الإنقلاب ■

فقد تشكلت فى السودان **أول حكومة وطنية** عام ١٩٥٣ برئاسة **إسماعيل الأزهرى** ، وأعلن استقلال السودان عام ١٩٥٦ ، وبعد إعلان الاستقلال بعدة شهور استقالت حكومة الأزهرى وتشكلت حكومة ائتلافية برئاسة «عبدالله خليل» ولم تستمر تلك الحكومة فى السلطة طويلاً ، فقد تدخل الجيش لأول مرة ليطيح بها فى انقلاب بقيادة **إبراهيم عبود** الذى ألغى البرلمان ، وحل الأحزاب ، وبدأ فى اتباع سياسة القمع خاصة ضد أهالى الجنوب ، وأدى القمع إلى الثورة ضده فى عام ١٩٦٤ ، وتمت الإطاحة به بفعل الثورة الشّعبية ضده ، وتشكلت حكومة سودانية مدنية برئاسة «**سر الختم خليفة**» فى نفس العام وأعيدت الأحزاب والبرلمان ، ولم تستقر الأوضاع سوى عام واحد وإثر هجوم مسلح من أنصار حزب الأمة عام ١٩٦٥ تشكلت بعده عدة حكومات مدنية برئاسة محمد محجوب مرة والصادق المهدى مرة أخرى ، ولم تتمكن تلك الحكومات من إنقاذ السودان من أزمته ، بل إنها ضاعفت مشاكله .

واستمر الوضع أربع سنوات حتى عام ١٩٦٩ عندما أطاح الجيش بقيادة جعفر نميرى بالحكم المدنى ، وبدأ نميرى يتحرك لحل مشاكل السودان المتراكمة ، وأعلن حسن نواياه بالنسبة لسكان الجنوب ، وبعد سنوات عقد الحكم الجديد اتفاقية أديس ابابا التى نصت على المصالحة بين الشمال والجنوب واعترفت بحق الجنوبيين فى الحكم الذاتى ، وتم تعيين زعيم التمرد الجنوبى «جوزيف لاجو» نائباً لرئيس الجمهورية لكن فى نفس العام شهد أحداثاً دامية إثر فشل انقلاب هاشم العطا ، والذى أدى إلى قيام نميرى بحل الأحزاب السياسية وأعدم الكثير ممن اشتركوا فى الانقلاب ، وفى عام ١٩٧٦ واجه نميرى تمرداً مسلحاً آخر أطلق عليه الغزو الليبى ، واستمرت التمردات ضد حكم نميرى عام ١٩٧٨ لفترة طويلة ، وفى عام ١٩٨٢ وقعت عملية تمرد مسلحة فى الجنوب مما أدى بنميرى إلى النكث عما تعهد به فى اتفاقية أديس ابابا ، وقام بتقسيم الجنوب ، وألغى الحكم الذاتى مما أدى إلى ظهور حركة «جون جارانج» ثم قام بالتحالف مع الجبهة الإسلامية وبدأ فى تطبيق أحكام الشريعة بصورة تعسفية من وجهة نظر الكثيرين ، ثم انقلب نميرى على حلفائه الإخوان واعتقلهم بتهمة تدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . .

وفى هذا الوقت كانت الأزمة الاقتصادية قد تصاعدت إلى حد المجاعة ، وتزايدت الديون الخارجية ، ووصلت نسبة التضخم إلى (٨٠) فى المائة ، وتم تخفيض قيمة الجنيه السودانى (١٣) مرة ، وتدهورت الزراعة ، وتفشت الرشوة ، والفساد وتضخم دور جهاز أمن الدولة الذى كان اللواء عمر الطيب يرأسه ، وظهرت قضية تهريب اليهود الأثيوبيين «الفلاشا» وتداعت الأمور حتى وصلت إلى الإضراب الشامل فقام الجيش بانقلاب مرة أخرى بقيادة الفريق سوار الذهب ، بينما كان نميرى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعادت الأحزاب السياسية إلى الحكم مرة أخرى ثم تمت عملية تسليم السلطة للمدنيين مرة أخرى ليرأس الصادق المهدى «حزب الأمة» الحكومة الجديدة التى تشكلت عام ١٩٨٦ بعد انتخابات سياسية ، وليرأس الميرغنى «حزب الاتحادى» مجلس رأس الدولة ولتستمر التناقضات والخلافات بينهما خاصة حول كيفية إدارة العلاقات مع مصر ، ويستمر التدهور مرة أخرى ، وتتصاعد الأزمة التى يبدو أنها استعصت أكثر من ذى قبل ، وتتصاعد أيضاً الخلافات بين الحزبين الكبيرين ، ويتحول الصادق المهدى بعيداً عن الديمقراطية ، ومرة أخرى يقوم الفريق عمر البشير بانقلابه مؤيداً بالجبهة الإسلامية ، ولاتحل المشاكل ، بل تتفاقم ، ويفقد الجنيه السودانى «٩٠» فى المائة من قيمته ويتزايد الصراع فى الداخل ، وفى الجنوب . . ولايزال يتصاعد ، وكأنه لايريد أن يتوقف أيضاً . .

أزمة أخرى أكثر عنفاً . . تدور عبر الحدود .

أزمة أخرى متعلقة بالسياسة الخارجية للسودان ، فقد كان التدخل الخارجى فى شئون السودان سمة من سمات تاريخه فى كل الفترات ، فالوضع الجغرافى للسودان فريد من نوعه ، ولامثيل له إلا فى حالات نادرة ، فهناك (٨) دول توجد على حدوده من الشمال والجنوب والغرب هى مصر ، وليبيا ، وتشاد ، وأفريقيا الوسطى ، وزائير ، وأوغندا ، وكينيا بالاضافة إلى أثيوبيا التى سببت له مايشبه «الصداع» خاصة فى الجنوب ، وفى ظل هذا الوضع تأثر السودان بهؤلاء الجيران ولاسيما وأن القبائل على الحدود تتداخل مع القبائل فى تلك الدول ، فالقبائل النوبية تمتد من مصر ، وقبائل الفلاشا ، والفورو ، والزغاوة تمتد فى

تشاد ، وأفريقيا الوسطى ، وقبائل الزاندى ، فى زائير ، والكاوكا فى أوغندا ، والتوبوزا فى كينيا ، ثم «بنى عامر» فى أثيوبيا .

لقد كانت للسودان تعقيداته المستمرة فى علاقاته مع الجيران وفى سياسته الخارجية مع الدول العربية والإفريقية ، فلم تسلم العلاقات المصرية السودانية من المشاكل الحادة خاصة فى الفترات التى تولى فيها حزب الأمة - المعروف تاريخياً بعلاقات عدم الصداقة مع مصر - الحكم ، وإن كانت حدة «العداء» قد خفت فى بعض المراحل ، خلال فترة حكم الصادق المهدى ، ومع ليبيا اتسمت العلاقة بالتوتر الحاد الذى وصل إلى حد تدبير الانقلابات ، والكراهية الشخصية بين نميرى ، والقذافى فى بعض المراحل ، ودعمت ليبيا فى بعض الفترات ثوار الجنوب ، كما دعمت أثيوبيا أيضاً حركة جون جارانج ، والحركات السابقة له باستمرار ، وتشابكت حركات الجنوب مع حكومات أفريقيا ، بل وتدخلت دول عربية وأفريقية بعيدة عن الحدود تماماً فى الشئون السودانية مثل العراق خاصة فى المرحلة الأخيرة ، وتدخلت الهيئات الأجنبية ، ومنظمات غوث اللاجئين ، والإرساليات الدينية فى شئون الجنوب مما جعل تلك المنطقة «مرتعاً» لكافة القوى القريبة ، والبعيدة .

ولايزال السودان يعانى .
ولاتزال حكوماته تساهم فى تعميق هذه المعاناة . .

وتدور كل هذه الأحداث على أرضية تمثل الوجه المضىء ، والمحزن أيضاً بالنسبة للسودان ، فهذه الدولة تتمتع بقدرات اقتصادية أقل مايمكن أن يقال عنها أنها «خارقة» وليست عادية ، لكنها أيضاً ليست مستغلة ، وهذا هو مصدر الأسى .

فالسودان هو أكبر الدول العربية والافريقية حجماً على الإطلاق إذ أن مساحته تصل إلى (٢٫٥) مليون كيلو متر مربع وتتميز هذه المساحة الهائلة بتنوع شديد يماثل التنوع فى تشكيلاته الاجتماعية والسياسية لكنه تنوع من نوع آخر ، إذ إنه يوفر للسودان إمكانيات اقتصادية طبيعية ضخمة بالإضافة إلى الأراضى المنزرعة حالياً توجد حوالى (١٠٠) مليون فدان يمكن زراعتها اعتماداً على مياه

الأطـراف ، لكنهـا ليست مستغلة ، وحوالى (٩) ملايين فدان يمكن زراعتها اعتـماداً على الـرى الدائم ، لكنها غير منزرعة أيضاً ، وتقدر مساحة الغابات الطبيعية فى السودان بحوالى (٥١) فى المائة من المساحة الكلية له ، وتوفر تلك الغابات ثروة طبيعية هائلة من الأشجار المتنوعة كالصمغ والدوم يمكن استغلالها بشكل يوفر ثروات ضخمة .

ويمتلك السودان إمكانيات هائلة للانتاج السمكى من مصادر المياه العذبة والملحة يمكنها أن تقدم له حوالى (١٢٥) ألف طن سنوياً من الأسماك بما يعادل (٥) أضعاف الانتاج الحالى من الثروة السمكية .

وفى الـوقت ذاته فإن السودان يعتبر من أغنى الدول الأفريقية من حيث الثروات الحيوانية التى قدرت بحوالى (٥٣) مليون رأس حيوانى عام ١٩٧٩ ، ومن حيث المراعى التى يمكن استغلالها والتى تصل مساحتها إلى (٥٧) مليون فدان .

وتـوجـد فى الســودان أيضـاً خامات معدنية هامة كالحديد ، والمنجنيز ، والـذهب ، والفضـة ، والكـروم ، والجبس ، والـزنـك ، والنحـاس ، لكن استغلالها محدود للغاية كما تم اكتشاف البترول بكميات كبيرة فى السودان وتشير التقديرات المختلفة إلى توفر احتياطيات بترولية فى الأراضى السودانية بكميات تعادل (٢٥٠) مليون برميل .

ومع ذلك . .

فالسودان يعد من أفقر دول العالم من حيث الدخل القومى . ومتوسط دخل الفـرد ، ومعـدلات استهـلاك الـطاقـة ، وتوفر الخدمات الأساسية والمرافق ، وامكانيات الحياة العادية للفرد .

ورغم ذلك . . أيضاً . .

فالسودان يعانى من أزمة اقتصادية طاحنة وصلت فى آواخر السبعينات ، واستمرت حتى عام ١٩٨٥ ، ومابعدها ، ووصلت فى بعض المراحل إلى حد «المجاعة» التى ظهرت ملامحها فى ندرة الغذاء ، وارتفاع أسعار السلع الأساسية

بشكل سريع ، وانهيار قيمة الجنيه السوداني الذى لم يعد يساوى شيئاً ، بالإضافة إلى انتشار الأمراض ، وتفشى الأوبئة ، والموت البطىء الذى يحصد عشرات الآلاف فى فترة قصيرة .

لقد كانت كل الدراسات تؤكد : أن السودان يمكن أن يصبح «سلة غذاء العالم العربى» لكن ماحدث هو أنه لم يتمكن من إطعام المواطنين فيه ، واحتاج إلى المعونة الغذائية من الخارج .

لماذا حدث ذلك ؟ !

هذا أمر شرحه يطول ـ كما تقول شهرزاد ـ ولسنا هنا بصدد الحديث المفصل عنه ، لكن عوامل كثيرة أدت إلى تلك الأزمة الخانقة التى يعانى منها ، ومن بينها كل ماذكرناه سابقاً من مشاكل سياسية ، ولاشك أيضاً من أن الطبيعة ساهمت بدورها فى أحداث الأزمة حتى لانحمل السياسيين «وكوارثهم» كل مسئولية مصائب السودان فقد تعرضت أراضى تلك الدولة إلى فترات من الجفاف المزمن منذ بداية الثمانينات أدت إلى تهديد المجاعة لحياة (٦) ملايين شخص خاصة فى جنوب السودان وغربه بسبب تناقص إنتاج الذرة كأحد الأسباب من (٣) ملايين طن عام ١٩٨١ إلى مليون طن فقط عام ١٩٨٥ ، فى حين أن الطلب المحلى كان يقترب من (٢) مليون طن .

لكن السياسيين يتحملون العبء الأكبر ، وبعض المحللين يحملون سياسات جعفر نميرى الاقتصادية «تحديداً» مسئولية هذا التدهور الذى بدأ يتفاقم منذ أواخر السبعينات ، رغم أن آخرين يقررون أن جذور الأزمة موغلة فى القدم ، وترجع إلى تراكمات العهد ، الاستعمارى وعدم قيام الحكومات المتعاقبة والتى كانت منشغلة أكثر بالصراع السياسى فيما بينها بأية انجازات يمكنها أن تحد من عنف الأزمة حتى تراكمت كل هذه الأوضاع فى آواخر السبعينات لتؤدى إلى كارثة حقيقة ، فلم تتم خلال فترة طويلة بعد الاستقلال إقامة بنية أساسية من : مواصلات ، وطرق تمكن من استغلال ثروات المناطق السودانية المختلفة .

كما أنه فى ظل ظروف عدم الاستقرار الداخلى كان من الصعب دائماً أن :

يتوفر للسودان تمويل خارجى لاستغلال ثرواته ، وحتى المشروعات التى تمت إقامتها فى الجنوب لتوفير مياه الرى مثل «مشروع قناة جونجلى» ومشروعات التنقيب عن البترول تمت مهاجمتها ، وتدميرها من جانت قوات «جون جارانج» مما أدى إلى أنهاء فرص الاستثمار فى الجنوب .

وفى خط متواز مع ذلك فإن عجز الحكومات عن وضع سياسات اقتصادية ملائمة للسودان ، وانتشار الفساد ، والرشوة ، وظهور أشخاص على نمط «مستر» (١٠) فى المائة و«مستر» (١٥) فى المائة . أدى إلى تفاقم المعاناة وعدم تطوير قطاعات الاقتصاد المختلفة ، وهجرة الأيدى العاملة إلى البلدان المجاورة ، وأدت كل تلك الظروف فى مجملها إلى تراكم ديون السودان حتى وصلت إلى (١٤) مليار دولار تقريباً ، وعجزه عن سداد أقساط الديون ، وفوائدها رغم جدولتها أكثر من مرة ، وأدت إلى تدهور قيمة الجنية السودانى الذى كان يساوى عام ١٩٧٨ حوالى (٢٫٥) دولار أمريكى فأصبحت قيمته لاتتجاوز (٠٫٤) من الدولار ، وأصبحت الأحاديث عنه مرتبطة بالنكات ، وارتفع سعر الذرة مثلاً إلى (٢٠) ضعفاً ، كما زادت معدلات التضخم بدرجة رهيبة يصعب احتمالها فى ظل ثبات ثقيل للأجور والمرتبات التى أصبحت لاتتحرك ، وفى إطار عدم نمو فى الدخل القومى للسودان ، وعدم نمو فى صادراته ، بل أن معدلات الفوائد السنوية لخدمة الدين الخارجى أصبحت توازى (١٥٠) فى المائة من قيمة الصادرات السودانية وتبدو الصورة فى ظل هذا الوضع قاتمة .

والعبارة القصيرة التى يمكن أن تعبر عن الوضع السابق فى النهاية هى أن الامكانيات المتاحة للسودان لاتستغل إلا بنسبة (٧) فى المائة فقط .

هذه هى باختصار شديد ملامح «لغز» السودان الشديد الغنى والشديد الفقر فى نفس الوقت ، والذى يعتبر حالة أفريقية وعربية نادرة تستحق الاهتمام ، وتستحق أن يتم قلب أوراق تاريخها مرة بعد الأخرى لاكتشاف بعض ملامح هذا «اللغز» ومحاولة حل طلاسمه ، فلقد كان العرب فى العصور الوسطى يرون السودان بعيداً ويطلقون عليه اسم «بلاد السود» التى اشتقت منها كلمة

السودان كتسمية عرفية تطلق على الاقاليم الممتدة عبر الصحراء الكبرى من البحر الأحمر والمحيط الهندى إلى المحيط الأطلنطى ، لكن السودان أصبح حالياً محدداً ، عربياً رغم التنازع الداخلى فيه ، وأصبح أيضاً قريباً للغاية ، ويستحق دائماً رؤية أقرب ، وأعمق ، واهتماماً أكثر . .

وهذا الكتاب ماهو إلا محاولة لقراءة بعض أوراق الملف السودانى من خلال مواجهة مباشرة مع حاكم سودانى استمر فى السلطة لمدة (١٦) سنة عليها الكثير ، ولها أيضاً الكثير رغم أنها مرحلة لاتزال ساخنة ، ولم تصبح تاريخاً بعد .



■ الرئيس الأسبق نميرى فى أقصى اليمين يترأس مجلس قيادة الثورة ■

* بوش هو الذى طلب منى نقل الفلاشا .
* الناس يقولون «نار نميرى ولا جنة البشير» . . ولكن الصحيح أن يقال «جنه نميرى ولا نار البشير» .
* سوار الذهب سلم السلطة خلال عام واحد . . هذا صحيح ولكن . .
* على أيامى كان «السودانى» يرفض أكل لحم الجمل . . واليوم يبحث السودانيون عن لحم الجمال ولايجدونها .
* نظام الحكم الحـالى يخطط لتحـويل الجيش إلى ميليشيات للإخوان المسلمين .
* لو كنت أملك المليارات التى يتحدثون عنها لما كنت أسكن على حساب الحكومة المصرية .
* لم أذبح الشيوعيين . . بل هم الذين ذبحوا الضباط .
* مازلت أستقبل ضيوفى ؛ ولكن بالأسلوب المصرى المتشدد فى إجراءات الأمن .

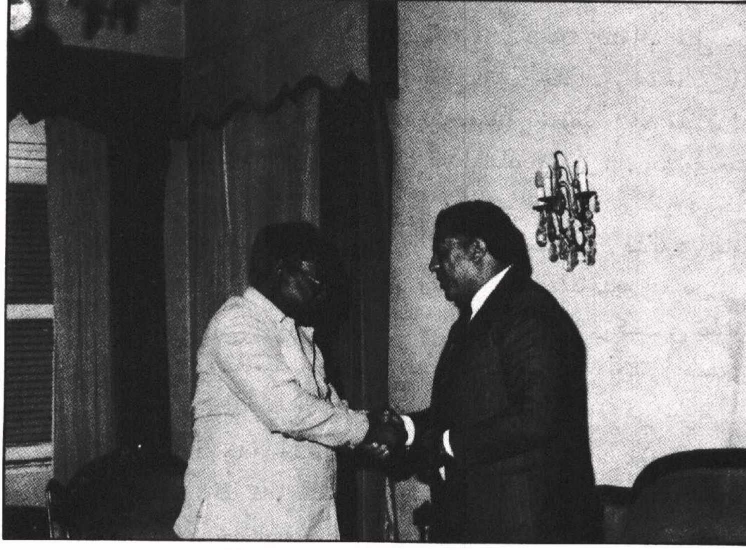
فى البداية . . لم يكن مقدراً لهذا الحديث أن يكون بهذه المساحة الكبيرة . . من حيث الكم . . ومن حيث الكيف أيضاً . . فقد اتصلت بالرئيس جعفر نميرى أستأذن فى زيارته لمدة ساعة . . كان تقديرى أنها كافية لتغطية رأى رئيس جمهورية السودان الأسبق فيما يتعلق بأزمة الخليج وتداعياتها . . ووافق الرجل وحدد الموعد فى العاشرة صباحاً . .

حملت أوراقى وذهبت لمقر إقامته بضاحية مصر الجديدة . . وبعد تجاوز إجراءات الأمن من حراسته الخاصة . . استقبلنى مدير مكتبه . . لنصعد سوياً إلى الطابق الأعلى . . لنجد الرئيس الأسبق نميرى وقد جلس لتوه لتناول طعام الإفطار . .

فى ودٍ كبير استقبلنى الرئيس ، ودعانى لتناول طعام الإفطار معه فوجدتها فرصة لتجاوز رهبة اللقاء الأول مع رجلِ السودان القوى الذى ظل قابضاً على مقاليد الأمور لأكثر من ستة عشر عاماً . . ثم صحبنى لغرفة مكتبه . . كل شىء حولى يتسم بالبساطة . . بل البساطة الشديدة . . الأثاث المتواضع . . والرئيس المتواضع أيضاً . . ولعلها طبيعة الأشقاء السودانيين الذين يتسمون بالبساطة والتلقائية كما يتسمون بطيبة القلب والتواضع . . كعادتى سألت فى بداية الحديث . . **ماهو الوقت المسموح به وماهى نسبة الصراحة المتاحة ؟**

قال الرئيس نميرى : كم تريد من الوقت ؟ قلت : ساعة . . قال وهو يبتسم : موافق . . أما الصراحة فهى بلا حدود .

أعترف أننى لم أتمكن من الوفاء بوعدى مع الرئيس . . فقد امتد اللقاء من العاشرة صباحاً حتى الثانية والربع ظهراً . . «أربع ساعات وخمس عشرة دقيقة بالتمام والكمال» . . أما الرئيس نميرى فقد كان صادقاً كل الصدق عندما وعدنى بأن تكون الصراحة كاملة ودون أى تحفظ . . فقد فتح الرجل قلبه . . أجاب عن كل سؤال وساعدنى ذلك بالطبع أن أفرغ كل مافى جعبتى من أسئلة أعترف أن بعضها كان حاداً ، وكثيراً منها يحمل اتهامات مباشرة ؛ وأنه لم يكن بوسعى أن أطرحها لولا أن أنابيب الاختبار التى أطلقتها بحذر فى بداية الحديث من خلال



■ الرئيس السودانى الأسبق جعفر محمد نميرى يستقبل المؤلف ■

أسئلة شائكة جاءت نتائجها تؤكد أن مساحة الديمقراطية فى أعماق الرجل تحتمل المزيد . .

كان لابد وأن نعرج إلى وادى النيل : حيث أوجاع السودان الشقيق منذ انقلاب أبريل عام ٨٥ وهى واحدة من المحطات الكبيرة والهامة التى توقفنا عندها وقلبنا أوراقها . . وأستطيع أن أقول إن قناعتى قد زادت بعد هذا اللقاء . . بأن السودان الحبيب هو لغز كبير من ألغاز هذا العصر . . موقف حكومته الحالية من غزو العراق للكويت لغز . . موقف اقتصاده المتدهور دائماً رغم كل مايملكه من ثروات طبيعية . . لغز آخر . . التركيبة السياسية والحزبية فيه هى أيضاً لغز . . ثرواته المنهوبة من الحكومات المتعاقبة تمثل لغزاً كبيراً . لقد قال لى الرئيس نميرى ضمن ماقاله : إن أحد الوزراء الحاليين قد باع قطن السودان بـ ٧٠ مليون جنيه بينما تبلغ قيمته الحقيقية ٨٠٠ مليون !! كثير وكثير من الألغاز المحيرة تعيش فوق ثرى هذا البلد الشقيق . . لقد وضعت أمام الرئيس جعفر نميرى كل الاتهامات التى طرحها خصومه . . دوره فى نقل الفلاشا لإسرائيل .. إعدامه للشيوعيين، والإخوان المسلمين . . فشله فى إقامة نظام ديمقراطى أثناء حكمه . . الفساد الذى أحاط بمساعديه المقربين . . الأموال التى هربها لخارج السودان بالملايين . . الأخطاء التى ارتكبت فى تطبيق قوانين الشريعة الإسلامية . . فشل السياسات الاقتصادية وتدنى مستوى المعيشة إبَّان حكمه . . قيامه الآن بقيادة المعارضة السودانية . . كل شىء .

إن كل ماجاء فى هذا الحديث من دفاع من الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى . . يستحق وقفة تأمل لتقييم مايحدث الآن على أرض السودان الشقيق بكل مايمثله من قيم حضارية أصيلة ، وبكل مايمكن أن يقوم به من دور فعال ومؤثر على الساحة العربية والإفريقية بل على الصعيد الدولى أيضاً . .

بقى أن أقول إن محاولات النبش داخل عقل وأعماق الرئيس نميرى قد لمست مناطق حساسة داخل نفسه لكنه ظل طوال الوقت محافظاً على رباطة جأشه .

قبل أن يودعنى . . نظر فى ساعته وقال : أخ محمد . . بعد هذا الحديث تُرى هل تركت لى شيئاً أقوله لغيرك . . وكان هذا الحوار :

العلاقـات السودانية المصرية

* **كان سؤالى الأول للرئيس الأسبق جعفر نميرى هو : العلاقات المصرية السودانية تمر من وقت لآخر باضطرابات وتوترات ولاتسير على وتيرة تتفق مع تاريخ العلاقات الأزلية بين البلدين . . كيف تقيمون هذه العلاقات ؟**

- للأسف الشديد أن العلاقات المصرية السودانية فى الوقت الحاضر وفى أثناء حكم الجبهة مضطربة للغاية . . وأعتقد أنه مهما قيل من رجال الدولة هنا وهناك عن حسن العلاقات فهذا لا يتعدى كونه كلاماً دبلوماسياً . . فالعلاقات سيئة للغاية . . فمنذ أن جاءت الحكومات المختلفة التى أعقبت حكومة ثورة مايو ومنذ عام ١٩٨٥ والعلاقات تسير من سىء إلى أسوأ إلى أن أصبحت مجرد علاقات شكلية .

إن ماوصلت إليه العلاقات المصرية السودانية فى عهد ثورة مايو كان مثالاً لكل الدول لتحتذى به . . فقد بدأنا بالتكامل بين دولتين كانتا فى أشد الحاجة إلى المساعدة . . كانت امكانيات البلدين متدهورة نظراً لأن مصر كانت خارجة من حرب والسودان كان عنده حرب أهلية فى الداخل . . وبالرغم من ذلك تمسكنا بمتانة العلاقات التى وصلت إلى حد أن يعامل السودانى فى مصر معاملة المصرى والمصرى فى السودان يعامل معاملة السودانى . . ولكن للأسف جاء بعد ذلك من يقول أن هذه القرارات كانت فوقية . . فإذا كنتم قد اتهمتم «نميرى» بأنه اتخذ هذه القرارات دون استشارة الآخرين فإن مصر اتخذت هذه القرارات بعد العودة لمؤسساتها والواقع أن «نميرى» لم يأت بشىء جديد ولكنه قنن أموراً كانت موجودة وقائمة بالفعل . . فالتكامل كان تقنيناً لعلاقات قوية موجودة . . وللأسف الشديد لقد هدموا الكثير من المبادىء التى كنا قد وضعناها للدول العربية الأخرى وخاصة دول الخليج والسعودية من أن الإنسان السودانى أمين مخلص ومن أفضل الجاليات . . وللأسف كل هذا انتهى الآن ووصل الأمر إلى حد أنه هذا العام لم يقبل ولا طالب من السودان بالجامعات المصرية بعد أن كان هناك ألف طالب يلتحقون سنوياً مجاناً وكانت الحكومة المصرية تدفع لهم إعانة .

وقـد توقف الـبروتوكول التجارى بين مصر والسودان طوال الخمس أو الست سنوات الماضية .

ولكن ورغم كل هذا فما زال الشعب السودانى ، والشعب المصرى يصران على العلاقات ولايتصور أحد من الشعبين إمكانية حدوث قطيعة بين السودان ومصر .

مصر تقيد حركتى

*** البعض يبرر وجـودكم بالقـاهرة بأنه أحد أسباب التوتر فى العلاقات بين الحكومتين المصرية والسودانية ؟**

- نعم . . البعض يقول ذلك على أساس أن الحكومة المصرية تستغل وجودى فى مصر كمعارضة . . لكن الواقع أن هذا القول مناف للحقيقة تماماً . . بل على العكس أن وجودى فى مصر يعتبر ضماناً لهم لأن الحكومة المصرية مبدئياً لاتسمح لكل اللاجئين السياسيين أن يعملوا سياسياً ضد بلادهم . . وهذا تقليد تاريخى فى مصر .

أنا أرى أنه كان من واجب الحكومة السودانية أن تشكر مصر لأنها تقريباً مقيدة حرية عمـلى وحركتى . . وأنا لو كنت فى مكان آخر لأصبحت جون جارانج رقم ٢ .

*** ورغم هذا نعلم أنهم طالبوا الحكومة المصرية بتسليمك أو إسكاتك ؟**

- الحقيقة أننى مُسْكَت فعلاً . . والكثيرجداً من الإخوان والصحفيين يسألوننى : أين أنت ؟ . . ولماذا لاتتكلم ؟

الـواقـع أننى لم أر حكـومة فى العالم ترسل وزراء وتطلب تسليم لاجىء سياسى . . والأغرب من ذلك أن يأتى السفير إلى المحكمة ويقول إننا نريد نميرى . . والأمر الأكثر غرابة أنهم يقولون إن قضيتنا ضد نميرى وليست ضد مصر .

معارضة مكشوفة

*** يتردد أنك تقود حركة المعارضة السودانية من القاهرة وأنك تسعى للقيام بانقلاب ضد حكومة البشير . . ماذا تقول ؟**

- هذا كلام صحيح من ناحية أن حكومة البشير تستحق أن تذهب . . لكن أنا لا أقود حركة معارضة بشكل المعارضة الحزبية . . ولكن أنا مع كل من يقف ضد حركة البشير وليس عقائدياً أو طائفياً . . أنا أعمل مع تحالف القوى الوطنية الذى يتكون من قوى الشعب العاملة ، وهم العمال والتجار والجنود وأعضاء النقابات والمهنيين . . ولذلك فإننى عندما أكتب منشوراً أقول رئيس اتحاد القوى الوطنية تحالف قوى الشعب العاملة .

أنا حقيقة أقود معارضة مكشوفة . . يعنى أعمل بشكل علنى وعندما أكتب شيئاً أكتبه للسفارة ليسلموه لعمر البشير . . وقد أدت هذه الكتابات إلى أن انقسم المجلس على نفسه وقال البعض أن هذه الكتابات هدفها النصيحة والدليل على ذلك أنهم عملوا بكثير من الكتابات التى كتبتها وغيروا من بعض سياساتهم . . إننا نعارض معارضة بناءة لمصلحة السودان .

ويواصل الرئيس جعفر نميرى حديثه قائلاً :

إن الحكم القائم الذى يسيطر عليه حزب الجبهة الإسلامية صورة من صور الأحزاب الدينية والطائفية ، التى أدت إلى تعطيل الحريات وضرب الوحدة الوطنية وإلى إفقار السودان وإذلاله داخلياً ، وإلى عزله سياسياً على كل المستويات فى الخارج ولقد درست ثورة مايو ، بعد تعرضها للتآمر الداخلى والخارجى وتجربتها دراسة موضوعية وبخاصة السلبيات التى ألمت بها ، فى السنوات الأخيرة ، ووضعت الخطط السديدة لتفاديها ، تعزيزاً للمسيرة الديمقراطية وتعميقاً لتجربتها . . وسوف تعرض فى الوقت المناسب على الشعب .

ثلاث نصائح قدمتها لسوار الذهب

○ لماذا اخترت مصر مقراً دائماً لاقامتك ؟

- لقد سمعت بالانقلاب وأنا نازل فى مطار القاهرة . . ومن هنا بدأت إقامتى فى مصر . . ولكن حتى ولـو كنت سمعت بالانقـلاب وأنا فى أى بلد آخر لاخترت مصر لإقامتى لعدة أسباب أولها لقربها من السودان ولمتابعة مايجرى فى السودان لأنى مازلت مواطناً سودانياً .

وعندما جاء سوار الذهب إلى مصر كتبت له قائلاً : إننى سأبقى فى مصر مسـاعـداً لك . . وقلت له فى خطابـاتى ثلاث نصائح ولكنه لم يعمل بها للأسف الشديد . .

كانت أولى هذه النصائح عدم حبس كل الوزراء الذين عملوا مع ثوار مايو لأن هؤلاء خيرة المثقفين فى البلد . . وإن كان لديكم أى اتهام لأحد منهم فقـدموه للمحاكمة فوراً لكن لاتعتقلوهم . . ولكن للأسف لم يعمل معهم بهذه النصيحة حتى كره المثقفون نظامه .

والنصيحة الثانية كانت تتعلق بجهاز الأمن وطلبت منه عدم حل هذا الجهاز لأننا بذلنا جهداً كبيراً فى تدريبه . . ولكنه لم يعمل بهذه النصيحة أيضاً وقام بحل جهاز الأمن نتيجة مظاهرة قامت فى أحد الشوارع .

كما طلبت منه عدم حل المؤسسة العسكرية الاقتصادية التى كانت تعمل على مسـاعـدة السـودان اقتصـادياً . . ولكنـه حل هذه المؤسسة أيضاً . . وللأسف بدأت المحاكمات على أوسع نطاق وصدرت أحكام بسنين طويلة على بعض الأفراد بمحاكم كانت أضحوكة .

○ فى بداية انقلاب سوار الذهب . . هل كنت مستعداً للتعاون معه ؟

- أبداً . . فسوار الذهب غير مستعد للتعاون مع أى شخص . . أنا عينته وزيراً للدفاع صدفة لا لشىء إلا لأن الضابط الذى كان تحته أخطأ خطأ كنت أعتقد أنـه إجرائى وعندما سألته من الضابط الذى يليه . . فقال : أنا . . فقلت له : إذن جدد لسوار الذهب سنة . . وهكذا جاء سوار الذهب وزيراً للدفاع صدفة .

محاولة الاقتراب من مصر

* **يقال : إنك فى مرحلة من المراحل لجأت نحو تنظيم الناصريين لمجرد الاقتراب من مصر فى هذه المرحلة ، وبذلك كثفت وحدات العمل الوحدوى جهودها لمساندة نظامك . . ماهو الأمر الذى فجر التناقض بين فصائل النظام سواء المعتدل منها أو المتطرف ؟**

- ليست هذه كل الحقيقة . . فالحقيقة أن من أهداف الثورة أن تكون العلاقات مع مصر حميمـــة وقـوية ، وأن نصـل بها إلى التقنـين حتى لانـترك فرصـة للمتاجرين بالوحدة للتلاعب بعلاقات البلدين . . ووجدت هناك الكثير من المخلصين الذين يودون القيام بهذ العمل ولكن بسبب هذه الحمية وصلت العـلاقـات بيننا إلى حالة فتور والتى اقتصرت فقط على علاقة الرئيسين ولم تتخطها إلى الشعبين .

وقلت للرئيس السادات دع الخلاف مقصوراً علينا فقط وأن لايمتد أثره إلى الشعبين الشقيقين . . وفعلاً لم تكن هناك علاقات حميمة بينى وبين السادات فى مرحلة من المراحل إلى أن اجتمعت معه وقلت له إن ذلك ليس فى مصلحة البلدين خاصة بعد تسوية الخلاف الذى نشب بيننا حول وجوب أن يكون للسودان استقلالية ذاتية فى اتخاذ القرار .

وبعد ذلك وصلنا معاً إلى أساس للتكامل ، واجتمعت اللجان حسب بروتوكول التكامل الذى كان أقوى ارتباط حدث فى العالم العربى حتى الآن وأصبحت القـاهـرة والخـرطـوم فى منطقة واحدة حسب اتفاقية للطيران . . واستفدنا كثيراً من هذا التكامل حيث وصلت إلينا مساعدات مجانية من جميع المؤسسات المصرية .

وعندما جاءت حكومة أبريل وصفت هذا التعاون بأنه تم وفق قرارات فوقية . . فكان هذا نوعاً من الغباء ، إذ أن ذلك لايجوز أن يقال عن مصر إن صح عن السودان .



■ قلت للسادات دع الخلاف علينا فقط ■

*** إذن أنت لم ترتكن إلى الناصريين لتدعيم العلاقات مع مصر؟**

- لم يحدث ذلك إطلاقاً . . ولكن هناك «شللية» أو جماعة فى السودان تكونوا وأطلقوا على أنفسهم «ناصريون» ولم يكن لهم أى أثر سياسى مما جعل قادتهم يرحلون إلى ليبيا «القذافى» ولايتعدى عدد هؤلاء الناصريين فى السودان العشرين شخصاً .

أما اقترابنا مع مصر فناتج عن علاقة تاريخية أزلية تربط الشعبين . . كما أن هناك صلات الدم والرحم القائمة بين السودان ومصر منذ القدم .

* * *

البكاء على عبد الناصر والسادات

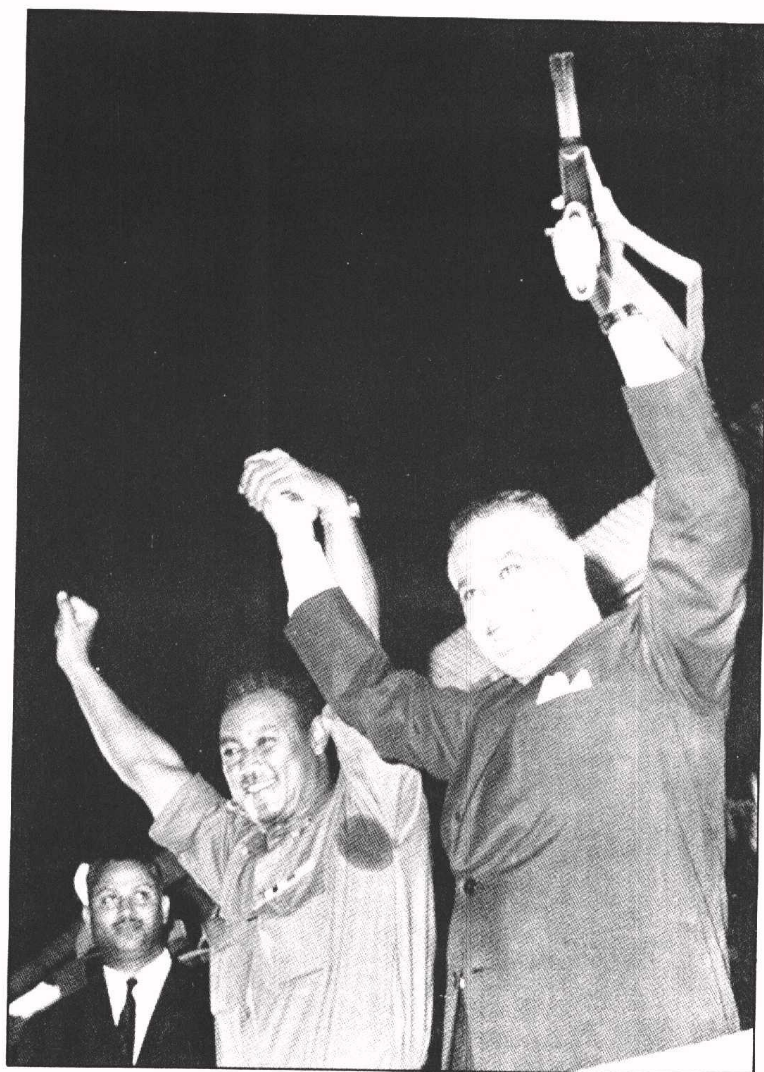
* **لماذا بكيت بشدة عندما مات عبدالناصر ، وبكيت أيضاً عندما مات السادات ، رغم أنهما نظامان مختلفان ؟**

- لأنهما أصدقاء لى . . بكيت ناصر أشد لأننى كنت الرئيس قبل الأخير الذى ودعه وقلت له : أنت تعبت للغاية فاذهب وأسترح فى منزلك . . فقال لى : سوف أنام طويلاً عقب توديعى لأمير الكويت . .

والشىء الذى زاد من بكائى أننى رأيت آثار الحزن على الوجوه فى شوارع القاهرة وعلى وجوه القادة عند حضورى للتعزية .

وعندما مات السادات بكيت أيضاً لأنه كان صديقاً حميماً ، ووصلت بى الصداقة إلى جميع أفراد العائلة ، لدرجة أننى كنت أذهب إلى منزله ـ وكان يحدث هذا أيضاً مع الرئيس مبارك ـ وكأننى وسط أسرتى .





قضايا شائكة



■ كل هذه الأرض الخصبة فكيف يجوع شعب السودان ■



جنة «نميرى» ونار «البشير»

*** البعض فى الشارع يقول : «نار نميرى ولا جنة البشير» كيف تنظر إلى هذه المقولة ؟ .**

- أعتقد أن معهم حقاً فى هذه المقولة ، وذلك لأن الإنسان فى أى مكان إذا لم يجد الخدمات الضرورية لحياته ، مثل العلاج ، والتعليم فإنه لا يستطيع أن يعتبر نفسه إنسانا ، يعيش على وجه الأرض . . وفى أيام «نميرى» كانت هذه الأشياء متوفرة . . المثال على ذلك أن سعر الخروف كان يتراوح بين ١٢ - ١٥ جنيها سودانيا . . واليوم يصل سعره إلى ألف جنيه أو أكثر . . أى أن الفرد الذى كان يأكل اللحم ثلاث مرات فى اليوم فإنه لا يستطيع الآن أن يأكلها ثلاث مرات فى الشهر كله .

إننى أسمع - لأول مرة - أن السودان يعيش فى مجاعات ، والواقع أنه ليس هناك أى أسباب لهذه المجاعات ؛ فالسودان لو أحسنت إدارته لا يمكن أن يواجه المجاعات . . فقد كنا ننادى بأن السودان مصدر من مصادر الغذاء للعالم العربى كله وإفريقيا . .

فكيف يجوع شعب السودان اليوم . . . ؟ .

إننى يوم خرجت من السودان ، كان لدينا اكتفاء ذاتى فى الحبوب ، والزيوت ، واللحوم ، والخضر ، والفاكهة وغير ذلك . . وفى نفس الشهر الذى خرجت فيه تحقق الاكتفاء الذاتى فى السكر .

أيام «نميرى» كان السودانى يرفض أكل لحم الجمل ، رغم أننا أكبر دولة فى العالم العربى بها كمية من الجمال . . اليوم يبحثون عن لحم الجمال ولا يجدونها ؛ لارتفاع أسعارها .

إن هذا الوضع الاقتصادى المتردى هو نتيجة لتجاوزات وأخطاء .

وهو فى الوقت نفسه سبب فى تفاقم المشكلات الأخرى ، مثل مشكلة الجنوب ، وانعدام الخدمات الأساسية للشعب ، وتهديده بالمجاعة المزمنة فى بلد المليون ميل ، الذى يشقه النيل ، وروافده ، وفروعه وتسخو سماؤه بالغيث النافع .

إن المواطنين جميعا مسئولون مسئولية ، لاتسقط عن واحد منهم ، فى أن يناضلوا من أجل تحقيق أمل شعبنا ، فى الحرية ، والديمقراطية ، والرخاء ، والعدالة ، وأن يعملوا للتلخص من هذا النظام الذى حكم على نفسه بالفشل لاتجاهاته ، وسلوكه ، وممارساته .

فلتلتقِ الإرادات والأيدى الوطنية للقضاء على هذه الخطيئة فى تاريخ السودان السياسى .

*** من هنا يقولون نار «نميرى» ولا جنة «البشير» ؟**

- لا . . إنها لم تكن نارا . . إنها كانت جنة «نميرى» . . الصحيح نقول جنة «نميرى» . . ولا نار «البشير» .

مشكلة الجنوب :

*** ماهو تفسيرك لكل مايجرى فى السودان الآن والصراع الناشب حاليا بين الحكومة المركزية وجيش الجنوب ؟ .**

- هذا الصراع ليس هو الأساس ، فهناك صراع آخر داخل المجلس نفسه ، وهذا هو المهم ، أما مشكلة الجنوب فإننا نرى أنها يجب أن تحل على أساس اتفاقية أديس أبابا . . وهذه الاتفاقية هى الأساس الذى يمكن أن ينطلق منه حل كل القضايا الأخرى وبالفعل إننا بعد أن أعطينا الحكم الذاتى الإقيلمى للجنوب بدأنا نحل مشاكل الشمال بنفس الطريقة . . وعملنا حكم أقليمى للشمال . . وبعد ذلك أخذ الجنوب - أيضا - حكما ذاتيا إقليمياً لمنطقة كبيرة جدا . . ثم كانت هناك منطقتان وثلاث وأربع .

*** هل هذه هى جذور الأزمة ؟**

- أبدا ليست هذه جذور الأزمة . . قالوا إننى قسمت الجنوب ، فى حين أن مجلسهم هو الذى طلب ذلك . . وعلى كل حال ، أنا قلت لهم : إننا يمكن أن ننطلق من اتفاقية أديس أبابا ثم نرى .

المهم أن الصراع الناشب بين الحكومة المركزية ، وجيش الجنوب لا يمكن أن يتم حله ؛ لأنهم يرغبون فى حله حلاً عسكريا ، أو حلاً مزاجياً على رغبتهم ، وشروطهم .

وهناك أيضا مسألة القوانين الإسلامية ، فقد وضعتها أنا شخصياً على حسب طلب المؤسسات ، وطلب الجماهير السودانية ، التى طلبت وضع قوانين إسلامية . . وقد وضعنا هذه القوانين بتدرج ، إلى أن وصلنا إلى نهايتها وقمنا بالتطبيق . . طبعاً استغل بعض المعارضين هذا الموقف ؛ وقالوا : أن القوانين الإسلامية من أسباب مشكلة الجنوب .

والواقع أن مشكلة الجنوب كانت قائمة قبل القوانين الإسلامية . . وأنا أتصور أن القوانين الإسلامية كانت بمثابة إشعاع ، ومنار للعالم كله وليس للسودان فقط .

إننا لو نظرنا إلى القوانين الإنجليزية ، أو الأمريكية ، أو الفرنسية نجد أن ٩٠ ٪ منها أخذ من إشعاع القانون الإسلامى . . ثم إنه خلال عام ونصف تم قطع يد ٦٨ شخصا رغم أن حوادث السرقات كانت بالآلاف . . وبعد التطبيق أصبح كل إنسان سودانى ينام آمنا فى منزله . . إن هذا العدد يمكن أن يموت فى حادث تقليدى يحدث كل يوم فى بلد من البلدان .

إننى باختصار شديد أستطيع أن أقول : إن شكلة الجنوب ظلت تهدد أمن السودان منذ استقلاله وتمزق وحدته الوطنية . . وتستنزف طاقاته ، طيلة سبعة عشر عاماً حتى جاءت ثورة مايو إلى السلطة ؛ فعرضت حلاً سلمياً مشرفاً ووطنياً ، حقناً لدماء السودانيين ، وأنهت الحرب الأهلية باتفاقية أديس أبابا التى قمت بتوقيعها فى عام ١٩٧٢ فاندفع السودانيون يداً واحدة يبنون

وطنهم ، ويشاركون فى سياستها ، وإدارتها ، ينعمون بحقوق المواطنة . ويقومون بواجباتها ، ولقد كانت تلك الاتفاقية نموذجاً حضارياً لحل المشكلات الشبيهة فى العالم ، ولقيت ترحيباً عالمياً وأشادت بها الدول والمنظمات الدولية .

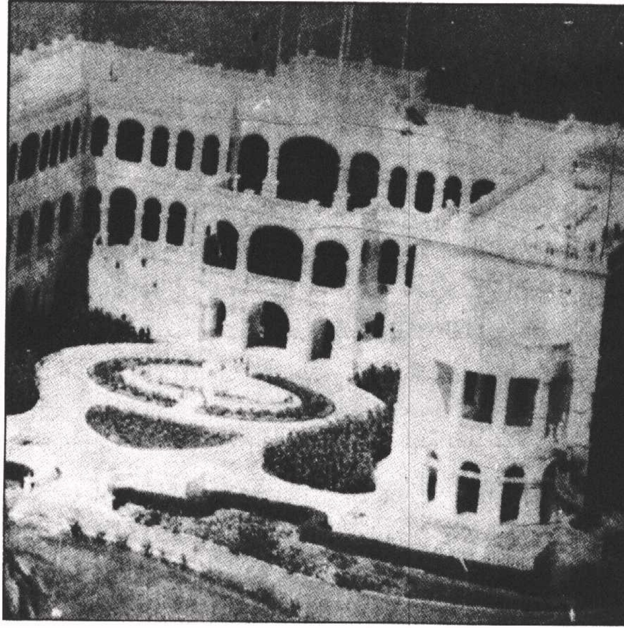
ويمضى الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى قائلا :

إن هذه الاتفاقية ستظل أساسا فى إطار السودان الواحد الموحد ، ويستطيع أن يتغلب على مشكلة التخلف الذى يعانى منه ثلثا العالم ، وليس الجنوب وحده ، ولا الشمال وحده ، ومن حسن حظ السودان ، أن موارده الطبيعية تفيض كثيراً عن حاجتة إذا مااستغلت استغلالاً صالحاً فى ضوء سياسة تنمية مخططة ، فهذا وحده هو الذى يحقق وحدة السودان الوطنية ، ويضمن حريات أبنائه فى الرأى ، والعقيدة ، والدين ، وفى تحقيق التنمية الشاملة ، والعادلة بين الأفراد ، والجماعات ، والجهات .

الفرق بين انقلاب سوار الذهب والبشير

*** فى تصورك ماهو وجه الخلاف بين انقلاب سوار الذهب وبين انقلاب البشير ؟**

* سوار الذهب كان يتصور أن الديمقراطية هى الأحزاب . . وأنا أعتقد أننا كنا متقدمين فى المسيرة الديمقرطية بشكل أكثر من الأحزاب . . لقد كان الفرد يتمتع بحرية الكلام والمعارضة داخل المؤسسات الديمقراطية دون أن يكون وراءه شلة ، أو حزب ، وكان جميع أنواع العاملين يمثلون فى مجلس الشعب السوادنى . . لقد كنا نفخر بأننا أعطينا الحريات لكثير من فئات الشعب التى لم تكن تتمتع بأى نوع من أنواع الحرية ، كما حصلت المرأة السودانية على وضعها ، ووصلت إلى منصب وزير ، وأصبحت عضواً فى المجلس الأعلى للدولة . ودخل العمال الوزارة كوزراء . . وأنشأنا الاتحادات للمزارعين وللتجار ، وعندما جاء سوار الذهب ومن معه استطاعوا عن طريق



■ قصر الرئاسة بالسودان ■



■ سوار الذهب والبشير ماالفرق؟ ■

الخداع ، وصرف الأموال الطائلة الحصول على تأييد ومساندة الدول العربية ، والأوربية وراحوا يسمون ماقام به نميرى بالديكتاتورية . . وبدأوا يساعدون سوار الذهب .

وقد كنت أتوقع أن يعطى سوار الذهب فترة انتقالية مدتها ثلاث ، أو خمس سنوات لتنظيم الأحزاب . . ولكن من الأخطاء الكبرى التى وقع فيها سوار الذهب أنه أعلن أنه خلال سنة سيسلم السلطة للأحزاب . . مما جعل البعض يتصور أن هذه جرأة من رجل عسكرى أن يقوم بتسليم الأمور للأحزاب . . ولكن الخطأ أنه ـ وبسبب قصر الفترة ـ جعل الأحزاب تتسابق فى الحصول على الأموال من الخارج لكى تكسب الانتخابات .

*** لكن سوار الذهب أوفى بوعده وسلم السلطة بعد سنة ؟**

- نعم . . أوفى بوعده . . وهنا يجب أن نسأل : لماذا أوفى ؟ لأنه وجد نفسه لايستطيع أن يقود المسيرة . . وكان عليه أن يتأكد أن هناك أحزاباً حقيقية وليست بيوتات طائفية مثل بيوتات المهدى ، والميرغنى . . لقد ترك البلد للبيوتات ؛ ليتقاسموها ، وللآسف الشديد أن الأخوان المسلمين شغلوه موظفا عندهم . . حسن الترابى شغل سوار الذهب موظفا عنده !!

فهذا الرجل فى الواقع لم يكن لديه هدف محدد يسعى إليه . .

*** كثير من المراقبين والسوادنيين يقولون : إن فترة سوار الذهب من أفضل الفترات ديمقراطيا . . فماذا تقول ؟**

- إنه مجرد اندفاع . . فلم تكن هناك ديمقراطية بالمعنى الحقيقى الإيجابى .

*** إذن ماالفرق بين انقلاب البشير وانقلاب سوار الذهب ؟**

- انقلاب البشير بالرغم أنه انقلاب عسكرى إلا أنه جناح لحزب فى داخل الجيش . . وأنا اعتبره ماليشيا الإخوان المسلمين.



■ نميرى وبوش والإتفاق
على ترحيل الفلاشـا ■



تطبيــق السلـوك الإســـلامى :

*** نعود إلى الحديث بتفصيل أكثر عن القوانين الإسلامية . . لقد قيل : إنكم طبقتم هذه القوانين بشكل مباشر . . فهل تعتقد أن الشارع السودانى مهيأً للتعامل مع التيار الإسلامى ؟**

- أستطيع أن أقول : إن الروح الإسلامية متأصلة فى الشارع السودانى ، ولكن لا يوجد السلوك الإسلامى . . ولذلك فأننا نهدف إلى تطبيق السلوك الإسلامى .

*** ألا ترى أنكم وقعتم فى أخطاء أثناء تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان ؟**

- كما سبق أن قلت : إن الذين أتوا ليطبقوا الشريعة الإسلامية كانوا من الإخوان المسلمـين ، وهم اعـترفـوا فى خطبهم بأنهم طبقوا الشريعة الإسلامية خطأً «لنضع نميرى فى مواقف حرجة وليكره المواطنون نميرى» .

قصـة الفـلاشـا

*** كثير من الآراء تؤكد أنك أحد المشاركين فى قضية «الفلاشا» . . فما هى الحقيقة ؟**

- «الفلاشا» هى قبيلة من القبائل التى تعيش فى أثيوبيا . . وأنا كنت لا أعرف عنها شيئا . . . وكانت لى علاقات حميمة مع دول غربية ، فكنت أسمع أن هناك بعض اللاجئين لجأوا من أثيوبيا بسبب الحرب من بعض القبائل . . وكانت هذه الدول لديها الرغبة فى أن يخرج هؤلاء الناس من السودان . . وآخر طلب جاءنى كان من نائب الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت وهو فى زيارة للسودان . . وكان هذا النائب هو الرئيس الأمريكى الحالى «بوش» . . وقد قال لى أن هنـاك عددا يقـدر بحـوالى من ثلاثـة إلى خمسة آلاف من قبيلة «الفلاشا» يريدون أن يخرجوا من السودان . . فقلت له : إننى أعلم أن هؤلاء «الفـلاشا» يذهبون إلى إسرائيل ونحن لا نمانع فى خروجهم من السودان ، ولكن نرفض أن يخرجوا من السودان ويذهبوا إلى إسرائيل . . فإذا كان لديك

القدرة أن تأخذهم وتنقلهم إلى الولايات المتحدة ومنها تنقلهم إلى أى مكان حتى ولو بعد أربع وعشرين ساعة فإننى لا أمانع فى هذه الحالة . . قال لى : فعلاً سأنقلهم إلى الولايات المتحدة . . وبالفعل أرسل طائرات أمريكية ، وأخذ عدداً منهم وسافروا .

والذى أريد أن أسأله هنا : ما هى خطورة «الفلاشا» على العالم العربى ، وعلى العالم ككل ؟ إن أى مجموعة من الناس فى إمكانها الخروج ثم تتغير . . الآن ليبيا تنقل ناساً من السودان ، وتدربهم ، وتعيدهم إلى السودان ؛ ليحاربوا السوادن . . والآن تدرب آخرين ويحاربون فى تشاد ، وتساعدهم الحكومة السوادنية .

(ملحوظة ؛ المقابلة أجريت قبل الأحداث الأخيرة التى شهدتها تشاد)

*** إذن . . لماذا قامت الدنيا ولم تقعد حول قضية «الفلاشا» ؟**

- الهدف هو تشويه شخصية «نميرى» ، وهى من الشخصيات السياسية المسيطرة الآن على شعب السودان . . وأنا لا أدرى . . لماذا هذه الحملة الشديدة التى تهاجم نميرى ، وللأسف الشديد يشارك فى هذه الحملة بعض الصحفيين المصريين . . وأنا لا تهمنى مثل هذه الحملات ، وإنما أعتبرها انتصاراً لى . . والغريب أنه كلما نادى الشعب السودانى برجوع «نميرى» اشتدت الحملة ضدى . . وكلها تدور عن «الفلاشا» . . ويأتون بصور مصطنعة ويقولون : إن «نميرى» كان مجتمعاً مع «شارون» وحصل منه على ٦٠ مليون دولار.

لو كانت لدى أموال

*** بالمناسبة . . يقولون إن لك فى الخارج مئات الملايين . . فماذا تقول ؟**

- بل إنهم يقولون إننى أمتلك مليارات . . وهناك من يقول : إننى أمتلك سيارات النقل المرسيدس التى تعمل فى مصر . . وهذا ضمن مخطط التشويه . . إننى لو كان لدىَّ بعض هذه الأموال لعرف الجميع . ولظهرت

هذه الأمـوال . . لو كانت لدى هذه الأمـوال لكـان خيراً للسودان . إنهم لايتحدثون عمن سرقوا الأموال ، وخرجوا من السودان ، واشتروا إذاعة فى أثيوبيا .

إننى أسكن على حسـاب الحكومة المصرية . فلو كانت هذه الحكومة تعلم أننى أمتلك هذه الأموال ، هل كانت أسكنتنى وقامت بالصرف علىّ . . ؟

اتهامات واتهامات

*** يتهمـك الكثيرون بأنه فى فترة حكمك ، تدهورت الأوضاع الداخلية فى السودان ، ووصلت الحالة الاقتصادية إلى أسوأ مايكون . . بماذا تردون على هذا الاتهام ؟**

- إننى أتساءل : ماذا أنجزت أى حكومة من مشروعات مفيدة للسودان خلال السنوات الست الماضية ؟ إن كل المشاريع التى يفتخرون بها الآن ، وتحقق فائدة للبلاد ، كلها من نتاج حكم «نميرى» . . لقد أقمت مشروعات قيمتها أربعة مليارات تبلغ قيمتها الآن أربعين مليارا .

*** الاقتصاديون يعتبرون السودان سلة غذاء العالم ، وفى نفس الوقت يعانى الشعب السودانى من الفقر والمجاعات . . كيف ذلك ؟**

- هذا هو السؤال العجيب ، فهناك أخطاء اقتصادية رهيبة تحدث . . أحد الوزراء باع الإنتاج مقدما قبل سنتين . . أو باعه لأحد زملائه فى الحزب . . إننى أعرف أن أحد الوزراء باع قطن السودان بـ٧٠ مليون وقيمته ٨٠٠ مليون جنيه . . إنها ماسأة .

إن التـدهـور الاقتصـادى الحـادث نتيجـة للممارسـات الاقتصاديـة الخاطئة ، والمحسوبيات ، والفساد ، وليس لأن السودان لا يملـك . . .



■ الكارثة الاقتصادية جعلت الشعب السوداني يعيش على الصدقات ■



الواقع أن للمشكلات الاقتصادية أسباباً ، ولها مظاهر ككل ظاهرة اجتماعية ، وتختلف أسبابها تنوعا فى الموارد الطبيعية ومعطياتها ، وفى الموارد البشرية وفى قدرتها ، وكذلك تختلف مظاهرها فى الكفاف حتى تبلغ المجاعة ، تعانى البلاد النامية أنواعاً كثيرة من هذه المشكلات ، وفى مقدمتها المشكلات المالية وبخاصة غير البترولية ، ومع هذا فإن للدول الكبرى والغنية مشكلاتها المالية ، وإن اختلفت نوعيتها ، وليس من المنطق أن نقول : إن الاقتصاد السودانى لم يكن يعانى كثيراً من المشكلات ، ولكن . . كان للخطط الاقتصادية ، وسياسات الاستثمارات الخارجية ، والعلاقات الدولية النافعة ، وللأمن الداخلى المستقر دور فى التغلب على تلك المشكلات ، وبدأت تلك الخطط والسياسات تؤتى ثمارها فى مشروعات التنمية الإنتاجية الكبرى ، وإقامة الخدمات الأساسية : كالطرق ، والمواصلات ، وفى المشروعات الاجتماعية : فى مجالات التعليم والصحة ، والتنمية الريفية ، وتوفير مياه الشرب ، والخدمات الطبية فى القرى ، والمناطق القاحلة ، وشبه القاحلة بين المواطنين البدو ، ولكن كل ذلك توقف ، لغياب التخطيط ، وفقد الأمن الداخلى ، والانصراف إلى لعبة السلطة ، وخنق الحريات ، وتشريد المواطنين ، والعزلة السياسية الخارجية ؛ عربياً ، وإفريقياً ، وعالمياً ، باتباع سياسات تعصبية ، لاتخدم مصلحة السودان ، ولا مصلحة أبنائه ، وقد أصبح الغلاء الطاحن للمواد المعيشية اليومية ، يأخذ بخناق الشعب من الندرة فيها ، واختفاء الخبز دورياً فى المدن ، ولبن الأطفال ، والأدوية ، ومع ذلك انفرد هذا النظام باحتكار السلع الضرورية لأتباعه المتعصبين ، فكل التجار فى أيديهم ، وتسهيلات البنوك تقدم لهم وحدهم ، وهم القائمون على اللجان الشعبية التى انشأوها ، وهى صورة لتنظيمات الجبهة القومية الإسلامية .

ويمضى الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى قائلاً :

إن هذه الكارثة الاقتصادية التى تجعل الشعب السودانى شعباً متسولاً يعيش على فتات الصدقات ، وموائد الإحسان الأجنبية ، التى تسمى تجاوزاً المعونات الأجنبية هى النتيجة الحتمية للسياسات ، والممارسات التى يتبعها

النـظام القـائم ؛ إفقـاراً للشعب السـودانى ، وجمعـاً للثروات الحرام لمؤيديه وأنصاره ، بالاحتكار ، وممارسة السوق السوداء ، وبيع العملات الأجنبية ، وشرائها .

*** هنـاك مطامـع كثـيرة تتنـازع ثروات السـودان المـائية ، الطبيعية . . هل تتصورون أن صراعات الجنوب وراء هذه المطامع ؟**

- لا أعتقد . . فأنا ضد أى مشكلة تقال عن أن الدول الأخرى مؤثرة على النيل فالسودان هو البلد الرئيسى الذى يستطيع أن يؤثر على النيل .

*** فى تقـديركم . . لماذا وصلت مشروعات التكامل بين مصر والسودان إلى طريق مسدود ؟**

- بسبب السياسات الخاطئة من حكومة السودان بعد عام ١٩٨٥ .

فساد قيادات مايو :

*** هناك من يوجه الاتهامات لبعض قيادات ثورة مايو ، ويشيرون إلى كثير من الانحرافات والفساد . . بل تمتد أصابع الاتهام لتشملكم شخصياً . . وما هو موقفكم من قوانين سبتمبر التى صدرت فى عهدكم ؟**

- لقد تحدثوا عن الفساد فى مايو . . ويكفى مايو فخرا أن كل الذين استطاعوا تقديمهم للمحاكمة بعد ماسمى بالانتفاضة . . وبعد أن نقبوا ، وفحصوا ، ومحصوا كل ملفات الدولة . . لم يتعد عددهم أصابع اليد الواحدة . . وقد قدمـوا لمحـاكـمات علنية ، وبـرأ القضاء السودانى العادل ساحة الكثيرين منهم . . ألا ينهض ذلك وحده دليلا على طهارة عهدنا الذى امتد ستة عشر عاما ؟

ثم تدنـوا فى أساليبهم إلى مدارك يأباها الخلق السودانى ، وتقاليده ؛ فتحدثوا عن سلوك غير سوى لبعض قادتنا . . كذبوا وافتروا . . وما سلمت أنا من افتراءاتهم ، وأحب أن أؤكد لزملاء النضال ، ورفاق الدرب ، بأننا

بحمد الله أن مازلنا نقيم على مبادىء الثورة ، وطهارتها ، ومثلها ، مسلكاً واستقامة .

ويستطرد نميرى قائلا :

وليس غريبا أن يعمل البعض على ترويج مثل هذه الأباطيل . . صدقنى أنها لاتستوقفنا . . هى دليل على الإفلاس من جهة ، أو الهلع الذى أصاب خصومنا من جهة ، بعد أن رأوا كيف أصبحت جماهير شعبنا تتنادى حول رايات مايو ومبادئها .

وفى النهاية نقول :

نمر على لغو الحديث كراماً . . ونرد على خطاب الجاهلين سلاما . .

ويمضى الرئيس نميرى قائلاً :

أما قوانين سبتمبر التى جعلت منها بعض الجماعات السياسية «قميص عثمان» ، فقد نشأت عنها مشكلات ، هى من صنعها ، فعندما شرّعت هذه القوانين كان الهدف منها الاحتكام فى سائر أمور حياتنا إلى رحابة الإسلام وسماحته ، وأن يكون أمر الحكم شورى بين الناس . لكن الذى حدث لسوء الحظ أن تجاوزات كثيرة قد حدثت أثناء الممارسة العملية ، لأسباب مختلفة : بعضها داخلية والأخرى خارجية ، وقد تسبب ذلك فى تعريض أمن السودان ، ووحدته الوطنية ، وسلامه الاجتماعى للخطر . . ثم فتحت الأبواب للأحزاب الدينية ، والطائفية ، فاستغلت الإسلام وتاجرت باسمه . . فلم تعد تمثل جوهر الإسلام بسماحته ، وعدالته . وهوالأمر الذى أخرجها عن أهدافها الحقيقية . . وجعلها فى حاجة إلى إعادة النظر .

بعض الاتهامات حقيقيى :

*** كيف تنظرون لما حدث فى انقلاب أبريل ١٩٨٥ ؟ وماهى فى تقديركم الأسباب التى أدت لحدوثه ؟ وكيف تنظرون إلى المستقبل ؟**

ـ إنه سؤال هام ، ومشروع ، خاصة أن ورائى تجربة كبيرة فى العمل السياسى :

تجربة أكبر فترة متصلة فى السلطة فى السوادن ، حدثت فيها إنجازات كبيرة وباقية ، وحدثت فيها تجاوزات كثيرة وأخطاء ، وهكذا طبيعة العمل الإنسانى ، فهو محاط بالنقصان .

لقد سألت نفسى كثيرا . . لماذا حدثت نكسة أبريل ١٩٨٥ ؟ وماهى العوامل الداخلية ، والخارجية ؟ . . وما هى الثغرات ؟ وماهى الأخطاء . . ؟

وللاجابة عن هذا السؤال الواضح ، الطبيعى ، كانت الدراسات المختلفة من المسئولين فى ثورة مايو ، ومن المواطنين ، تتجمع ، وتدرس ، وتحلل بموضوعية وعلمية ، وتحدد المسئوليات ، فى كل المستويات وذلك للاستفادة من هذه الدورس مستقبلا ؛ فالتجاوزات والأخطاء قد وقعت وليس هناك نفع فى الدفاع عنها لكن النفع فى تجاوزها وتجنبها .

وأستطيع أن أؤكد . . أن بعض هذه الأخطاء اتهامات ، وخيالات ، وبعضها حقيقى مهما كانت الأسباب ، وسوف تنشر برامج المستقبل مفصلة فى وقت لاحق . نحن إذا نتطلع إلى المستقبل على أساس تجربة ، سوف تُعين على تحمل مسئولية العمل السياسى ، ونحن مع كل هذا لانحمل حقدا على أحد ، ولا نسعى إلى تصفية حسابات شخصية ، وإنما نتقدم إلى الجماعات والأفراد بيد ممدوة بالتعاون . . إن صورة المستقبل سوف تؤصل إيجابيات الثورة فى عنفوانها ، وتتخلص من تجاوزاتها فى فترة ضعفها ، وتكالب المنتفعين ، والانتهازيين عليها . . ستعود مايو فى اتخاذ قوى الشعب العاملة، القوى الوطنية المناضلة طلعية للديمقراطية فى أوسع معانيها ، وللتنمية الشاملة ، وللعدالة الاجتماعية ، وللرخاء ، وفى ظل وحدة وطنية قوية وشامخة .

ميليشيا الإخوان المسلمين

*** سؤال يفرض نفسه : إلى متى يظل العسكريون فى السودان هم المسيطرون على مقاليد الحكم ؟**

ـ طالما أن هناك مجالا للإخوان المسلمين ، والطريق مفتوح أمامهم ؛ ليعلموا ، فستظل ميليشيات الإخوان المسلمين مستمرة فى الحكم . . وأنا آسف أن

أقول : إن هؤلاء ليسوا ضباطا يمثلون القوات المسلحة ؛ فكل رجال القوات المسلحة الذين دربناهم تدريبا حقيقيا ، وصرفنا عليهم الأموال ، كلهم الآن إما فى السجون أو فى بيوتهم . . طُردوا من العمل فى القوات المسلحة . . فخطة الإخوان المسلمين تستهدف تغيير القوات المسلحة إلى ميليشيات ، عن طريق تكوين جيش للإخوان المسلمين من المؤيدين لهم داخل الجيش ، وكل من يعارضهم يطرد فورا . . كما أن كل المؤسسات العسكرية كالكلية الحربية أو مدارس التجنيد ، تعتمد أساسا فى قبول المتعصبين للإخوان المسلمين . . وهكذا . . فإنهم خلال خمس أو عشر سنوات يخرجون ميليشيات خاصة بهم ، وذلك مثلما كان يفعل بعض الرؤساء فى رومانيا ، حيث كان لدى شاوشيسكو قوة كبيرة جدا من القوات المسلحة . . ولكن هذه القوة لاتنفع .

نحن نؤمن إيماناً قاطعا بأن القوات المسلحة هى رحم الأمة السودانية الولود للأبطال ، والشهداء المدافعين عن الدولة ، وعن دستورها ، ونظامها ، والقائمين فى شرف ، وشجاعة دفاعا عن أمنها ، وحرياتها، وسياستنا ثابتة فى دعم القوات المسلحة ، وتدريبها ، وتسليحها ، والعمل على الاحتفاظ بمستواها الرفيع ، وينطبق هذا الموقف على قوات الأمن والشرطة النظامية الأخرى .

إن هنالك استراتيجية للجبهة الإسلامية للقضاء على القوات المسلحة ، واتخذت لذلك ثلاثة طرق :

الطريق الأول : إنشاء جيش موازٍ يدرب فى كنف القوات المسلحة ، عن طريق أنصارهم فى الجيش .

الطريق الثانى : هو تصفية العناصر الوطنية ، والقادرة ، واستبدالهم بإطارات عقائدية متعصبة ، ومختلفة ، ومسلوبة الإرادة .

الطريق الثالث : هو قصر القبول فى الكلية الحربية على هذا النوع من اتباعهم ، ومؤيديهم ، وكذلك قصر التجنيد للجيش والبوليس عليهم .

فلا عجب فى أنهم بدأوا فى تنفيذ هذه الاستراتيجية من أول يوم اغتصبوا فيه السلطة ، وظلت قوائم المفصولين من الجيش تتوالى . . فقد شملت القائمة الأولى : كل ضباط الدفعة الثانية عشرة ، وحتى الدفعة الثامنة عشرة ، وتوالى التشريد حتى بلغ ألفى ضابط ، وأضعاف هذا العدد من ضباط الصف الجنود ـ وتعرض الجيش لهذه المحنة منذ انتكاسة ١٩٨٥ ، حيث بلغ عدد المفصولين من الجيش منذ ذلك التاريخ حوالى ستة آلاف ضابط من مختلف الرتب ـ هذا وقد أصاب رجال الأمن من قوات الشرطة مثل ماأصاب الجيش : فقد شرد هذا النظام حوالى ٦٠٠ ضابط شرطة فى مختلف المواقع ، ومثل هذا الطغيان وقع على قوات السجون ، والمطافى ، وحرس الصيد ، فشردت قياداتها المؤهلة ، وذلك حتى تملأ مواقعهم بالعناصر الموالية للجبهة الإسلامية .

تأييد البشير فى البداية

*** ما حقيقة علاقتكم بالبشير . . وما رأيكم فيما يقال بأنكم كنتم على صلة وثيقة بانقلاب البشير فى بداية الأمر ؟**

ـ لم أكن على صلة وثيقة بانقلاب البشير . . ولكننا كنا نعمل ضد الأحزاب . . والبشير استفاد من كل إمكانياتنا ، وأيضا من قدراتنا البشرية . . ويقال إنه حتى الآن يوجد فى مجلسه بعض الذين كانوا معنا ، لكن الجبهة الإسلامية استطاعت أن تشتريهم وأن يصبحوا مع البشير . . أنا أيدت البشير فى البداية ، ولكن بدون أن أعرف عنهم شيئا ، حتى أقويه ضد الأحزاب . . ولكن بعد أن وجدت أنه تبع الجبهة ؛ أسقطته وتخليت عن تأييده .

العودة للسودان

*** ما حقيقة الشائعات التى تقول : إنك تستعد للسفر إلى السودان . . وهل مازالت لك علاقات بالمؤسسة العسكرية هناك ؟**

ـ ليست لى علاقات بالؤسسة العسكرية أبداً . . وقد أرسل المجلس وفدا لزيارة مصر ، وطلب مقابلتى ، ورفضت مقابلته . . إن هدفهم تقوية موقفهم

الضعيف فى السودان بالادعاء بأن نميرى يقف معهم ويساندهم . . والدليل علـى ذلك أنه عند عودته ، أعلن بيانا جاء فيه : إننا أعددنا بيتا لنميرى لأنـه قادم لزيارة السودان . والحقيقة أننى أعمل لزيارة السودان ولكن بعد أن تنقلب هذه المجموعة . . واعتقد أنها ستنقلب فى القريب العاجل جدا . .

*** ما رأيك فى مستقبل نظام «البشير» فى ظل المعارضة ضده ؟**

- هذا النظام أراه ساقطا ، والدليل على ذلك ماقلته عن هزيمة قواته فى جنوب السودان بالرغم من المعونات التى تصله من ليبيا .

*** هل لديك معلومـــات عن تغييرات فى موقف أثيوبيا وبـاقى دول الجـوار الإفريقى بالنسبة لحركة قرنق ؟**

- ليس لدى معلومات عن موقف أثيوبيا . . لكن أعتقد أن أثيوبيا دائما وأبدا تبيع وتشترى فى قضية إريتيريا . . إنها ترى أن تدعم كل يقف ضد حكومة السودان ؛ لأن هذه الحكومة تقف مع الإريتيريين . . وهذا اتهام قديم .

ظـاهرة مـزدوجـة

*** فى ضوء تجربتك كرئيس للسودان . . تميز حكمك بظاهرة مزدوجة . . فأنت الـذى وضعت حداً للحـرب الأهلية فى عام ٦٩ . . وفى آخر عهدك . . تفجرت الحرب الأهلية مرة ثانية . . كيف ترى حلا لهذه المشكلة المزمنة ؟**

- الحل - وكما قلت - فى اتفاقية أديس أبابا وهى الأساس . . ولكن الحرب التى نشبت كانت من جانب كل الأعداء الذين يريدون سقوط ثورة مايو ، وقد دفعوا فيها ملايين الجنيهات . . وعلى رأس هؤلاء كانت ليبيا تدعمهم دعما كبيرا . . وكان قرنق قد ذهب إلى أمريكا ، ولما عاد جعل قائد الجنوب الموجود فى المنطقة يسرق بعض أموال الدولة . . فلما أراد قائد المنطقة أن يحقق معه ؛ هرب ، وهرب معه جون قرنق ؛ فسمع به القذافى ؛ وقال هذا هو الذى ينفع معى ، ولابد وأن أدعمه . . وقد دعمه بالسلاح ، والأموال ، وأشياء كثيرة جداً إلى درجة أنه يوجد فى سجون قرنق بعض القادة السياسيين الجنوبيين

الكبار الذين عملوا معى لمصلحة الجنوب ، ولكنهم طردوا ؛ لأنهم يرفضون قيادة قرنق .

*** يتحدثون عن محاولة انقلاب فى السودان . . فما هى معلوماتك عن هذه المحاولة ؟**

- كل يوم هناك : محاولة انقلاب ؛ لأن الناس تعلم أن الحكم الموجود الآن يعتبر منتهياً ، فكل إنسان يريد أن يقوم بانقلاب ، ولكن بدون تخطيط ؛ مما يؤدى إلى كشفه .

* * *

ليست مذابح بل محاكم

*** لماذا حدثت مذابح للشوعيين فى عهدك ؟**

- لم تحدث مذابح ولكن حصلت محاكمات .. الشيوعيون هم الذين ذبحوا الضباط .. فنحن بغير أن ندرى ، وجدنا أنفسنا فى المعتقلات ، أنا ، وزملائى وتم ذلك بطريقة خسيسة ، ولئيمة ؛ لأنهم ذهبوا إلى الجنود ، والضباط ، وقالوا لهم : الرئيس «نميرى» فى ورطة ، ويطلبكم أن تأتوا إليه بسرعة ، فكان الضابط يخرج من منزله ، وينقلوه إلى المعتقل .. وبعد ثلاثة أيام .. عندما شعر الضباط ، والجنود الذين كانوا موجودين خارج الاعتقالات . بهذه الخدعة .. هجموا على مناطق السلاح ، وحملوه ، وأتوا إلى المعتقل ، وأخرجونى .. فى هذه الأثناء أمر الشيوعيون ضباطهم ، وجنودهم أن يذهبوا إلى المعتقلات ؛ ويقتلوا كل الضباط .. فقتلوا ٣٧ ضابطاً وعسكرياً .. وبعد أن خرجت ، ذهبت إلى مدرسة المدرعات ، وكان الجنود رافضين تلقى أية تعليمات إلا منى شخصياً .. وبعد أن وجهتهم ، ذهبت إلى الإذاعة ، وأعلنت بياناً وقلت الحمد لله أننا خرجنا .. وعلى أى فرد يجد شيوعياً ؛ عليه أن يسلمه إلى نقطة الشرطة أو الجيش .. ورفضت اقتراحاً بقتل أى شيوعى ،وقلت لأصحاب هذا الاقتراح : إننا لو قتلنا لأصبحنا مثل أندونيسيا . وبالفعل .. كان يتم تسليمهم إلى نقطة الشرطة ، والجيش ، وأجريت معهم تحقيقات ، وتم تقديمهم للمحاكمات ، وحكم على سبعة منهم بالإعدام .

* * *



■ نميرى أثناء استجواب بابكر النور ■



■ ويستجوب عبد الخالق محجوب فى محاكمات الشجرة ■

الخلاف مع الإخوان

*** اختلفت أيضاً مع الإخوان المسلمين . . كيف كان خلافك معهم ؟**

- أيام المصالحة الوطنية التى قمت بها ، كان الإخوان المسلمين قد دخلوا معنا الحكومة ، وكانت خطتهم أن يروّضوا الحكومة بطريقة سرية . . وكانوا يجتمعون بشكل سرى ؛ وهنا أعطيت لجهاز الأمن تصديقا باعتقال الاخوان المسلمين بسبب عقدهم لاجتماعات سرية لحزب غير مصرح به . . فتم القبض عليهم ولم يخرجوا من الاعتقال الا بعد حدوث نكسة ابريل سنة ١٩٨٥ .

معارضة أى شىء

*** بعيدا عن السياسة . . يقولون : إن المواطن السودانى دائم الهجوم على الأنظمة المتعاقبة ، ولديه اعتراض على رئيس الدولة . . لماذا ؟**

- أعتقد أن هذا نتيجة خطأ فى أسلوب تعليم الإنسان السودانى قبل الاستقلال . . فللأسف الشديد أن بعض الأحزاب العقائدية ، وعلى رأسها . . الحزب الشيوعى السودانى . . ثم جاء حزب الإخوان المسلمين ، ثم حزب البعث ، وغيرها من أحزاب الأقلية ، كانت هذه الأحزاب تعارض أى شىء بدون أن تسمع أو تقرأ أو تفهم أراء الآخرين . . إن الشعب السودانى رغم أنه يقرأ كثير فى السياسة ، إلا أنه شعب طيب ، فأى إنسان يمكن أن يقوده إلى أى شىء . . لكنه بعد يومين يعترض ، ويرفض هذه القيادة .

قرار خاطىء

*** بصراحة . . ماهو القرار الذى اتخذته وندمت عليه ؟**

- تعيين سوار الذهب وزيرا للدفاع .

* **إذا عدت اليوم رئيسا للسودان . . ماهو أول قرار تتخذه ؟**

- أول القرارات تكون متعلقة بإزالة كل المشاكل التى تتسبب فى معاناة المواطنين من ناحية الغذاء . . وهذا القرارات فى الحقيقة نقوم بإعدادها ـ من الآن ـ بشكل مكثف ، بحيث يتم القضاء على هذه المشكلة بأسرع وقت وفى ظرف أيام قليلة ؛ حتى نقضى على شبح المجاعة الذى يهدد المواطن السودانى الآن .

* **فى خضم ماتعرضت له من أخطار . . على الجانب الإنسانى . . ماهى أكثر هذه المواقف صعوبة ؟**

- فى الواقع هى مواقف كثيرة ، ولأنها تمثل عبئا على النفس فإننى لا أذكرها . . وإن كنت أتذكر أننى كنت فى أحد أيام الجمعة ، وأنا خارج إلى صلاة الجمعة ، سمعت غارة جوية . . ضرب قنابل على الإذاعة فى أم درمان . . فانزعجت جداً . . فركبت سيارتى ، وذهبت إلى الإذاعة ، ووجدت أن الضرب عشوائى ، لا يصدر إلا عن طيارين غير مدربين . . وعندما سألت عن مصدر الطائرة ؛ قالوا إنها طائرة ليبية . فتعجبت جدا وتساءلت : لماذا تضرب ليبيا هذه المنطقة ؛ خاصة وأنها تقع وسط المساكن والأهالى ، وقد تركت هذه الحادثة فى نفسى أثراً سيئاً ، وعشت فترة طويلة وأنا حزين جداً جداً . وحانق على القذافى . . ومن يومها وأنا أرفض عقد أى صلح مع القذافى .

الحياة بعيدا عن السلطة

* **بصراحة . . ماهى مشاعر رئيس الدولة عندما يفقد السلطة؟**

- أقوال صراحة : إن مشاعرى منذ البداية كانت عادية للغاية ؛ إيماناً بأن هذه سنة الحياة ، خاصة وأننى لم أغير من نمط وأسلوب حياتى بعدما توليت السلطة عنها قبل أن أصبح رئيسا . . فأغلب أثاث بيتى هو نفسه الذى كنت أعيش عليه وأنا ضابط عادى . بل إننى كنت أكره الحراسة ، ومظاهر وبروتوكولات الرئاسة ، والحكم . . ولذلك . . عندما قررت الإقامة فى



■ الرئيس مبارك عرض على الأقامة بقصر الطاهرة ■

مصر ، عرض على الرئيس حسنى مبارك - مشكوراً - أن أسكن فى قصر الطاهرة ، وهو قصر كبير جداً يسمح بأن يسكن معى أى عدد أريده من الأشخاص ، بالإضافة إلى الحراسة الكاملة المتوفرة فى هذا القصر . . ولكنى قلت : إننى لا أريد الإقامة فى هذا القصر ، وإنما أريد بيتاً صغيراً . . واخترت هذا البيت ، وراعيت أن يكون فى موقع يسهل على الناس زيارتى فيه .

* **هل حدث تغيير فى أسلوب حياتك الاجتماعية . . وهل مازلت تستقبل ضيوفك بشكل عادى ؟**

- مازلت أستقبل ضيوفى ، ولكن بالأسلوب المصرى المتشدد جداً من الناحية الأمنية ؛ فكل من يحضر لزيارتى ؛ يخضع لإجراءات أمنية شديدة . . وأنا بطبيعتى عكس هذا الأسلوب ، حتى أننى نادراً ما أخرج بالسيارة المخصصة لى ، وإنما أخرج بسيارة خاصة أقوم بقيادتها بنفسى ، وأزور كل معارفى من الأصدقاء ، ومن السودانيين البسطاء الذين يأتون للقاهرة للعلاج ، وأمد يد المساعدة لمن يحتاج منهم .

* **يوم فى حياة الرئيس نميرى الآن . . كيف ؟**

- أنا عادة أبدأ يومى فى الصباح حوالى الساعة التاسعة ، وبعد الصلاة ، أمارس رياضتى الجسمانية الخاصة ، ثم أستحم ، وفى حدود العاشرة . . أتناول إفطارى . . وهو بسيط للغاية . . ثم أقوم بقراءة الجرائد اليومية حتى صلاة الظهر . . وبعد ذلك غالباً ماأخرج أو أبقى لاستقبال بعض الناس . أى أن حياتى تسير بأسلوب عادى جداً . . وعندما أخرج ، كثيراً ماأذهب إلى المستشفى لزيارة بعض المرضى .

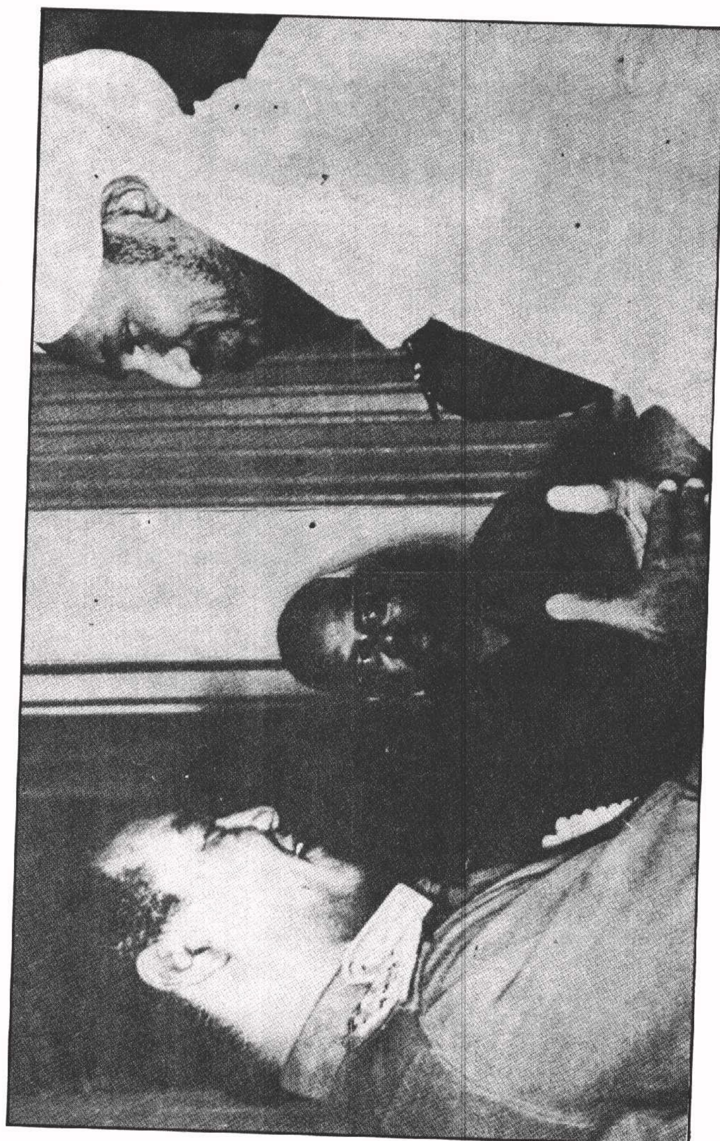
* **من خلال التأمل الذى تعيشه الآن ، بعد هذه الفترة الطويلة من الحكم ، والأحداث ، والمواقف التى تعرضت لها . . ماهو الدرس الذى أصبحت تعيه أكثر من ذى قبل ؟**

- هو زيادة التمسك بأسلوب كنت أتبعه . . وهو قائم على التعاون مع الإخوة ،

والمواطنين فى اتخاذ القرارات . . بمعنى زيادة مساحة المشاركة ، والتى كانت موجودة بالفعل ، وحققت إيجابيات كثيرة . . وكان الصادق المهدى قد علق على هذه المشاركة فى رده على أحد الأسئلة التى وجهت إليه عن سبب عدم نجاحه فى إدارة الحكومة مثل نميرى . . فقال : إن نميرى لم يترك لى شيئا . . لقد أخذ كل الناس الأكْفاء .

ومن هنا فإننى أتمنى أن أستمر على هذا الأسلوب . . بأن أشرك الأكْفاء وأمنحهم الفرص ، ليعملوا ، وأراقبهم المراقبة الجيدة . . وأفتح أمامهم المجالات للعمل فى المواقع الأنسب والأصلح لهم .

* * *



■ النميري أثناء إستقبال صادق المهدي ■

كلمة حب إلى
أبناء السودان الشقيق

أكثر من خمسة عشر عاماً قضيتها حتى الآن فى بلاط صاحبة الجلالة . . أجريت خلالها مئات الأحاديث الصحفية ، مع العديد من الشخصيات الهامة ، وحول قضايا شائكة . . لكن تجربة الأسابيع الماضية . . كانت تجربة مختلفة تماماً .

منذ أن نُشرت الحلقة الرابعة من حديثى مع الرئيس السودانى الأسبق «جعفر نميرى» . . لم تتوقف ردود الفعل . . عشرات الرسائل والمكالمات الهاتفية . . سيل من الآراء المتباينة بين مؤيد ، ومعارض ، للآراء التى طرحت فى هذا الحديث . . كثيراً من الانتقادات طوقنى بها بعض الإخوة السودانيين . . بعضها بسبب إجراء الحديث أصلاً مع الرئيس الأسبق للسودان . . والبعض الآخر كان يرى أنه كان علىَّ أن أطرح هذا السؤال أو ذاك . . بل جنح البعض ؛ فأخذ يلقى بالاتهامات بكلمات شابها التشنج واللاموضوعية . . فهناك نوع من البشر إذا ما اختلف معك فى الرأى ؛ فإنه لا يتورع عن اتهامك بالعمالة وسوء النية . . بل وبالخيانة العظمى أحياناً . . وعلى الجانب الآخر . . كان هناك كثيرون ممن التزموا بأصول الحوار ، واختار كلماته برقة وموضوعية . . حتى وإن اختلف معك فى الرأى ؛ أو اتفق . . وبين هذا وذاك أمضيت الأيام الماضية أتلقى فى صبر اكتسبته من خبرة العمل فى مهنة يصفونها «بالبحث عن المتاعب» .

لقد حمل بريدى الكثير من الرسائل التى تباينت . . سواء فى الرأى ، أو فى أسلوب الطرح حول قضية واحدة هى : حديث الرئيس الأسبق «جعفر نميرى» . . وقد عكست كل هذه الرسائل مدى اهتمام أبناء الشعب السودانى الشقيق بقضايا وطنهم ، وحماسهم الكبير ، وحيوية أفكارهم ، بل أقول ـ دون مبالغة ـ : ارتفاع المستوى الثقافى بينهم ، واستيعابهم لكل ما يدور حولهم من أحداث ، فى عالم يلهث كل يوم وراء متغيرات جديدة . . على أن الملاحظة التى وقفت عندها طويلاً . . أن أحداً من الذين هاجموا الرئيس الأسبق «نميرى» لم يؤيد الرئيس الحالى «عمر البشير» . . كما أن أحداً من الإخوة

السودانيين لم يختلف مع آراء «نميرى» فيما يتعلق بقضية الاحتلال العراقى لدولة الكويت ، وضرورة الانسحاب من أرضها ، وعودة شعبها وحكومته الشرعية .

نعـود إلى بعض رسائل القراء التى تلقيتها . . أو تلك التى تلقتها إدارة التحرير بالجريدة . . والتى قمنا بنشر بعضها ، رغم معارضتها ، وعتابها ، بل واتهاماتها أيضاً . . ولعل ذلك دليل كاف على حيادنا وعدم تجاهلنا لآراء قرائنا الأعزاء . . حتى وإن حمل بعضها تهكماً ، أو تجنياً ، أو اتهاماً .

فلقد أصدر أحد القراء الأحباء حكماً أظنه متسرعاً . . عندما تصور أننا نعمد إلى «تلميع» الرئيس الأسبق «جعفر نميرى» .

بل إنه اتهمنى شخصياً بسوء النية فى إجراء الحديث الصحفى . . رغم ذلك كله . . فقد تم نشر رسالة القارىء العزيز كاملة . . وأشهد أننى استمتعت تماماً برسالة القارىء «طه حسن طه» التى تميزت برشاقة الأسلوب . . وما تضمنته من أبيات الشعر . . بصرف النظر عن مصداقية ردوده من عدمها .

فهذه قضية لا أستطيع الفصل فيها ، لأنها ملك الشعب السودانى الشقيق ، يقول فيها كلمته ، فربما اتفق معه البعض أو اختلف . . لكن الرسالة على كل حال كانت تستحق الاهتمام . . وقد كان القارىء العزيز إيجابياً عندما كتب اسمه فى نهاية الرسالة فى الوقت الذى وقَّع عدد من القراء بأسماء مستعارة واكتفى البعض منهم بأن يلقب نفسه «بمواطن سودانى» وقد نشرنا واحدة من تلك الرسائل ، وإن كنت لا أجد فيها ما يستحق الرد . . فنحن فى «السياسة» لا نسعى لإفساح صفحات جريدتنا التى هى ملك لقرائنا لمهاترات لاطائل منها .

وهنا أتوقف عند سؤال طرحه علىَّ القارىء العزيز والذى لم يُفْصح عن اسمه إلا بكونه «مواطن سودانى» متخطيا بعض المغالطات والتشنجات والتجاوزات . . لأصل إلى سؤاله الذى يوجهه إلىَّ حيث يقول :

هل كنت سأستطيع أن أطرح مثل الأسئلة التى طرحتها على الرئيس الأسبق «نميرى» لو كان لايزال فى موقعه ؟ . . ورغم أن صيغة السؤال ليس لها معنى سوى أن أسئلتى كانت جريئة ، ومباشرة . . وهى شهادة تورط فيها المواطن

السودانى دون أن يقصد على ما يبدو . .

وهنا يجىء دورى فى الرد على القارىء «مواطن سودانى» وليسمح لى أن يكون رد سؤاله بسؤال مقابل : تُرى لو كان الرئيس نميرى لايزال فى موقعه . . هل كنت قد تجرأت أن تكتب كلمة واحدة مما ضمته رسالتك ، بما فيها سؤالك هذا ؟

وهنا أقول كما يقول البعض عندما يتعرضون إلى انتقادات ، ممن لا يدركون أن دور الصحفى أن يَسأل ، ويحاور ، وينقل بأمانة ما يقوله المصدر .

لن أقول «إن ناقل الكفر ليس بكافر» ؛ فلم أنقل فى حديثى مع الرئيس الأسبق «جعفر نميرى» كفراً . . وبالتالى . . فإن أحداً من خصوم «نميرى» لم يتهمه بالكفر ! ! لقد تحاورت مع رجل حكم السودان ستة عشر عاماً . . والمنطق يقول إن من حق الرجل أن يتكلم . . أن يقول رأيه . . أن يدافع عن نفسه . . كما أنه من حق الآخرين الاختلاف معه . . لقد تحدث «نميرى» بعد صمت طويل . . وفى ظل ظروف دقيقة للغاية يمر بها السودان الشقيق ، والأمة العربية ، بل العالم بأسره .

وقد كان من دوافع سعادتى ، أن عدداً من أساتذتى من كبار الصحفيين اتصل بى مهنئاً بامتياز الحديث . . من حيث الأصول المهنية من جانبى كمحاور . . أما من ناحية إجابات الرئيس الأسبق «نميرى» . . فقد أيده الكثيرون فيما طرحه من آراء . . كما اختلف معه البعض ، ومنهم القراء الذين لم نتوان فى نشر رسائلهم .

كما أن من دواعى اعتزازى . . أن أعداداً كبيرة من الأشقاء السودانيين . . طلاباً مثقفين ، يعيشون فى القاهرة ، وكذلك من مختلف أبناء الشعب السودانى الشقيق ، قد اتصلوا بى تليفونيا من المملكة العربية السعودية ، ودبى ، والبحرين وقطر . . من لندن ، وباريس . . من المغرب . . كل هؤلاء ناقشوا فى وعى ، وموضوعية ، وبأسلوب متحضر ، هذا الحديث وقال لى أحدهم إن الاسم المناسب لهذا الحديث التفصيلى هو «محاكمة نميرى» .

وطوال الأيام الماضية كنت أعكف على دراسة ردود الفعل التى فجرها هذا

الحديث «المحاكمة» ، وما اقترحه البعض من أسئلة جديدة . . وقررت إعادة فتح الملف من جديد . وبالفعل اتصلت بالرئيس نميرى ، وأبلغته بردود الفعل ليفاجئنى بأن لديه المزيد . . قلت هل لديك مانع أن نلتقى من جديد ، لطرح مزيد من الأسئلة . . ضحك قائلاً : هل هى أسئلة اتهامية مثل التى طرحتها علىّ من قبل .

قلت : بصراحة هى أكثر حدة . . إنها محاكمة كما أراد لها الأشقاء السودانيون . . قال لا مانع ، تفضل . . قلت متى ؟ قال : **الآن إن أردت** . . وبالفعل كان اللقاء بعد ساعة ، وليستمر حتى ما بعد منتصف الليل . . ورغم اعتراض أحد القراء عندما قلت فى الجزء الأول من الحديث : إن الرجل كان واسع الصدر فى استقبال أسئلتى وإننى وجدت مساحة الديمقراطية فى أعماقه تحتمل المزيد . . فإن الإنصاف يقتضى أن أقول فى الجزء الثانى من الحديث : إن الرئيس الأسبق «جعفر نميرى» قد أتاح لى الفرصة لطرح كل أسئلتى دون اعتراض ، أو غضب ، أو انفعال .

بقى أن أقول لكل الذين أرسلوا لنا برسائلهم ، والذين تلقينا مكالماتهم التليفونية حاملة آراءهم . . شكراً لكم . . ألف شكر على ردود أفعالكم . . فنحن نقدر اهتمامكم ، وحرصكم على ما ينشر فى جريدتنا . . شكراً لكم على مشاعركم الحميمة والإيجابية . . وأيضاً نقول لبعض الإخوة الذين جانبهم التوفيق فى أسلوب التعبير عن آرائهم . . شكراً لكم أيضاً . . فنحن نتفهم منطلقاتكم . . وحماسكم . . وطموحاتكم فى سودان ترفرف عليه رايات الرفاهية ، والديمقراطية والاستقرار . . ونحن نشارككم هذا الحُلم الكبير .

سوف نعيد فتح الملف من جديد مع «جعفر نميرى» رئيس السودان الأسبق . . فى حوار أصدق ما يصلح من عنوان هو «محاكمة نميرى» . سوف لا أشعر بالدهشة لو تلقيت مزيداً من ردود الفعل . . متباينة ، وغاضبة ، وربما قاسية ، واتهامية . . لكنها على كل حال . . أحدى متاعب . . مهنة البحث عن المتاعب . . المتاعب اللذيذة . [1].

(١) نشر هذا المقال للمؤلف فى جريدة السياسة الكويتية .

حـديث المحاكمـة

* هذه هى أسرار العداء بينى وبين القذافى .
* محاولات الانقــلاب كانت تستهـدف الاستيلاء على السلطة وليس اغتيالى .
* نعم . . الثورة أكلت بعض فلذات أكبادها .
* هذه هى التفاصيل الحقيقية لحادث جزيرة آبـا .
* الجبهة الإسلامية فى السودان تتلاعب بأوراق خطيرة .
* أتحدى . . أن يحاكمونى وفق نصوص الدستور، لكنهم يريدون قطع رأسى .
* أشعـر بالنـدم لأنى عفـوت عن «الصادق المهدى» رغم قرار المحكمة بإعدامه .
* حسن الترابى هو الحاكم الحقيقى للسودان الآن .

لا أكـون مبالغا اذا قلت أن ردود فعل الجزء الأول من الحديث الصحفى الذى أجريته مع الرئيس السودانى السابق **«جعفر نميرى»** . . ردود الفعـل هذه تجاوزت كل ما كنت أتوقعه . . فعلى الرغم من سخونة الأسئلة التى طرحت على الرجل ـ فقد كان فى جعبة الأشقاء السـودانيين المـزيد . . وهذا المزيد لم يكن سوى علامات استفهامية كبيرة . . بل أقول بصراحة أكثر: **«اتهامات كبيرة»** . . بحجم الستة عشر عامـاً التى أمضـاهـا حاكـما لهذا البلد . . وبحجم مشـاكله المعقده . . وطموحات شعبه العريق .

ولعل المانشيت الأكثر ملاءمة لهذا الجزء من الحوار هو: **«محاكمة جعفر نميرى»** وقد طرحت على الرئيس : **«نميرى»** مجموعة كبيرة من الأسئلة من بينها . . أن «البعض فى السودان يطالب بمحاكمتك . . فهل أنت مستعد لمواجهة شعب السودان عن الفترة التى حكمت فيها السودان؟

وأجاب الرجل . . كما أجاب على العديد من الأسئلة الساخنة من خلال قضايا شائكة . . أعترف أن كثيراً منها كان يحمل نبض رسائل القراء التى توافرت علينا بأعداد كبيرة من الأشقاء السودانيين، وكذلك المكالمات التليفونية التى حَملت تساؤلات لم نتردد فى طرحها على الرئيس الأسبق **جعفر نميرى** الذى أجاب عنها جميعاً . . وكان هذا الحوار . .



■ الرئيس السودانى الأسبق جعفر نميرى يدلى بأقواله للمؤلف أثناء الجلسة الثانية للمحاكمة ■

مستعـد للمحاكمـة

*** البعض فى السودان يطالب بمحاكمتك . . هل أنت مستعد لمواجهة شعب السودان عن ال ١٦ عاماً: فترة حكمك ، وما أُخذ عليك خلالها؟**

* * *

- أوافق على أن يكون هذا الحكم بما ينص عليه الدستور الذى يقرر أن أحاكم إذا انحرفت . . فأنا مستعد للمحاكمة بالدستور . لكنى أرفض المحاكمات التى تأتى بها الأحزاب ولا أثق فيها . . فهم يطردون القضاة . . ويحطمون كل شىء . . فلا يوجـد قضـاء فى السودان . . والدستور السودانى حدد كيفية محاكمـة الـرئيس أو من هم فى منـاصب عليا . . وأنا أتحدى أن يحاكمونى بالدستور . أما ما يقال من: أن **وزير العدل السابق** قد طلب من مصر تسليمى كى أحاكم؟ فقد كان هدفهم «**قطع رأسى**» ولو بمحاكمة صورية والذى أتمسك به هو محاكمة بموجب نص الدستور.

*** ذكـرت من الجـزء الأول من الحـديث . . أنك ندمت على تعيينك «سوار الذهب» وزير الدفاع . . تُرى ما هى القرارت أو الأعمال التى تشعر بأنك اخطأت بفعلها؟**

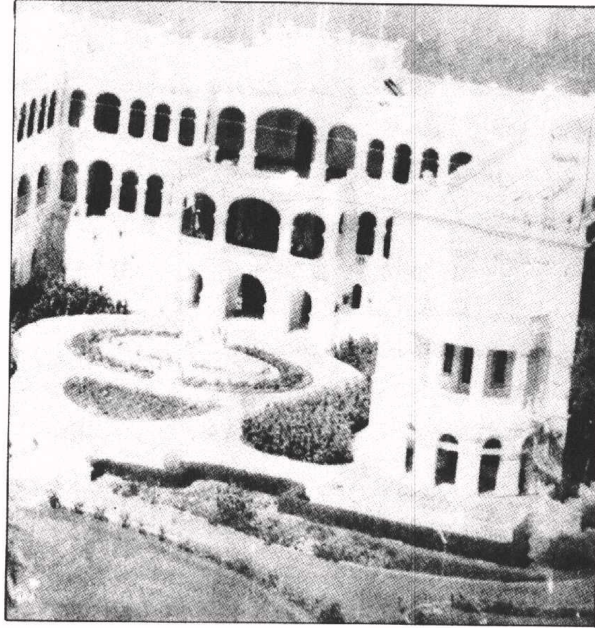
- القرار الذى أشعر بالندم معه هو قرار العفو عن «**الصادق المهدى**» لكى يعود كمواطن صالح ولكنه عاد للهدم والتخريب مرة أخرى . . ولهذا فقد ندمت على اتخـاذى هذا القرار . . رغم أن المحكمة حكمت عليه بالإعدام لكنى عفوت عنه . . بل تساهلت أكثر، وذهبت اليه دون استشارة المؤسسات وقابلته وأقنعته بخطتى فى العمل التى وافق عليها، وعاد للسودان .

*** لقد تدخلت فى القضاء السودانى . . وكان ذلك عندما توليت رئاسة المجلس الأعلى للقضاء . . فماذا تقول؟**

- لم أتدخل أبداً فى عدالة القضاء . . ولا فى القضايا . . بل كنت أتولى التوجيه

فقط فى النـواحى الإدارية . . فى الـترقيات . . فى كادر المرتبات، وللأسف اكتشفت : أن القضاة يعيشون فى ظروف صعبة بينما المحامون يأتون المحكمة بالسيارات المرسيدس فعملت على تغيير أوضاع القضاة . . فقد منحت كل قاض سيارة ومنزلا ورفعت مرتباتهم . . لكنى لم أتدخل فى شئون القضاء وعمله . .

فمثلا فى إحدى المرات جاءتنى شكوى أن أحد القضاة دخل قسم الشرطة وأوقف التحقيق . . فقام رئيس القضاء بإيقاف هذا القاضى ورفع إلى توصيته ولم أمانع بفصله وتم ذلك ؛ ورغما عن ذلك حصل هذا القاضى على رخصة للعمل بالمحاماة فرئاستى لمجلس القضاء كانت من الناحية الإدارية فقط .



■ قصر الرئاسة بالسودان ■

اضطهـاد الديمقراطيـة

*** الديمقراطية تعرضت للاضطهاد والقصور فى الممارسة إبَّان حكمك . . هكذا يقولون؟**

- إذا كنت تعنى بالديمقراطية هى : نفوذ الطائفية الحزبية . . فسمى الأمر اضطهاداً ، أو أى شىء . . . أما إذا كنت تقصد بالديمقراطية : أنها حرية الرأى ، فالعكس هو ما حدث . . الديمقراطية موجودة ومتقدمة لسنوات . . لأن الديمقراطية هى مشاركة كل الشعب فى العمل . . والشعب السودانى كله شارك فى المؤسسات وبعض السودانيين تجدهم مشاركين فى أكثر من مؤسسة : فى الحى والعمل فى مؤسسات أعلى . .

وأذكر أننى حينما طلبت الاجتماع مع قادة محافظة الخرطوم اكتشفت أن عدد الحاضرين بلغ ١٣ ألفاً من القياديين . . كذلك فإن عدد المجالس المحلية والإقليمية بالسودان بلغ خمسة الآف . كل مجلس به على الأقل ١٢ عضوا ، ٢٥ ٪ منهم من النساء . . فالسودان فى عهدى كان لا يوجد حجر على رأى .

وإذا رجعنا إلى التاريخ نجد أنه فى زمن «**نميرى**» كان السودان كله ممثلاً فى مجلس الشعب أتى بالانتخابات . . وأيضاً رئيس الجمهورية جاء بالانتخاب . . وكان الشعب ينتخب بواسطة النظام السياسى وهو النظام الوحيد دستوريا . . وبعد أن ينتخب عن طريق النظام السياسى يجرى استفتاء واذا نقص عن ٧٥ ٪ فإنه لا يصلح لتولى الرئاسة .

- وبالنسبة للنواب فكلهم يأتون عن طريق الانتخابات . . هناك نواب مناطق جغرافية ونواب إداريين ونواب عمال وموظفين ومحاسبين واقتصاديين وأساتذة جامعة . . كل قطاع من القطاعات ينتخب نوابه . . وكانت هناك نسبة ١٠ ٪ يعينهم رئيس الجمهورية منهم علماء ورجال الدين .

وكانت كل مديرية لديها مجلس شبيه بمجلس الشعب . . مجلس يأتى عن

طريق الانتخابات. . وكل ٣ أو ٤ مديريات لديها مجلس إقليمى وحكومة يأتيان بانتخابات. . هذه هى الديمقراطية فى زمن نميرى.

فهل الديمقراطية هى ضرورة وجود الأحزاب مثل الأمة والوطنى وغيرها؟ وأيضاً كانت هناك مجالس للقرى حيث إن أهلها لا يقرأون ولا يكتبون فكانت تعقد لهم اجتماعات تحت الشجرة ويتناقشون ويعرضون مطالبهم وكل النقابات والاتحادات كانت تتم بالانتخابات.

*** بماذا ترد على الرأى القائل: إن الخدمة المدنية قد انهارت فى فترة حكمك؟**

- بالعكس. . حينما توليت الحكم كانت الخدمة المدنية منهارة. . وأقول: إننى أول من وضع أوامر تأسيسية لكل بما فيها الوزارت. . فقبلى لم تكن هناك أوامر تأسيسية ولم يكن هناك ما يسمى بالوصف الوظيفى. . وأنا فتحت المجال للكفاءات. . وأصبحت هناك منافسة قوية لشغل الوظائف. . منافسة بين الجامعى وبين صاحب الخبرة ومن كان يثبت كفاءته كان يرقى إلى درجة أعلى.

*** القطاع العام والتأميم كانا من الأخطاء التى أُخذت عليك. . ، كذلك مصادرة الأموال الخاصة. . فماذا تقول؟**

- كان هناك خطأ فى التأميم وأنا قلت هذا. . وأرجعت كل شىء من الأشياء المؤممة والمصادرة إلى أصحابها. . لكن القطاع العام كان مثالا قويا وهو مستمر منذ أيام الإنجليز. . فالحكومة تملك السكك الحديدية والتليفونات والمواصلات والكهرباء والمرور ومشروع الجزيرة وكلها مشاريع كبيرة لا يتحملها القطاع الخاص ونحن اهدينا القطاع الخاص مصنع «**كنانة**» للسكر وهو من أكبر المشروعات. . والسودان بها قطاع خاص ومشترك وتعاونى. وأوكد أن الخدمة المدنية لم تتأثر سلبا فى فترة حكمى فنحن انشأنا وزارة للإصلاح الإدارى. . وكنا نرسل الخبرات للخارج فى دورات. . وكنا نشجع على الاستثمار. فمثلا فى وقت من الأوقات طلبنا من صندوق التنمية الكويتى أن يرسل مندوبين لدراسة مشاريع السكر وامكانية الاستثمار فى السودان

وفعلا أرسل الصندوق «**عبد اللطيف الحمد**» رئيس الصندوق ثم «**الخرافى**» الذى تولى رئاسة الصندوق بعد «**الحمد**» وكنت أنا وزيراً للمالية بالإنابة لأن الوزير كان مسافراً. . فأنا حينما يسافر الوزير أشغل منصبه كنوع من التفتيش وبعد اجتماع مع الأخوة الكويتيين. . قال أحدهم كلمة لم ترضنى

قال : أن الادارة فى السودان ضعيفة. . فسألته عن عدد الأقسام الموجودة عندهم بالصندوق؟

فأجاب عشرة أقسام. . قلت: له ما هو عدد السودانين لديكم بالأقسام؟. . فأجاب: ثمانية سودانين هم رؤساء للأقسام. . وبعدها قال: سنرسل للكويت وننتظر الرد. . لكنى قلت: له اننا لدينا إدارة ذات كفاءة. . لكن تنقصنا القدرة المالية.

*** كيف كان مستوى الخدمات أثناء حكمك خاصة المواصلات؟**

- كان بالسودان أكبر شبكة للأقمار الصناعية، والإرسال التليفزيونى يغطى ٩٠٪ من مساحة السودان. . وهناك مناطق كثيرة بالسودان لم يزرها أى مسئول. . وحينما توليت الحكم كنت أزور كل مناطق السودان. . وكان الناس يقولون لى دائما إننى أول مسئول يزور منطقتهم. . وقد كان هناك من - قبل - بعض المناطق كانت تقوم بها مظاهرات، ولا أحد يسمع عنها أى شىء.

*** العسكريون فى السودان. . لماذا استمر حكمهم لفترات طويلة؟**

- بداية حكم العسكريون بدأت مع الفريق **إبراهيم عبود** عام ١٩٥٨ وكانت البداية أن المدنيين أو من يسمون أنفسهم بالديمقراطيين هم الذين طلبوا من عبود تسلم الحكم وكان ذلك نكاية فى الأحزاب الأخرى المعارضة.

*** هل هو قدر السودان أن تتعاقب عليها حكومات عسكرية. . ومتى يعيش السودان تحت حكم مدنى؟**

- أفضل حكم للسودان هو الذى يكون فى ظل النظام الشمولى. .

والعسكريون هم أفضل للقيادة . . بحكم طبيعة عملهم . . إضافة الى أنهم يمثلون قطاعا عريضا من الطبقة المستنيرة .

فالضابط فى القوات المسلحة هو مواطن قبل كل شىء . . فالانحراف والفساد اللذان تمارسها الطائفية فى الحكم لا يمكن أن يصمت عليهما العسكريون . . وضمانا لا ستقرار السودان لابد من النظام الشمولى بالنسبة للحكم .

*** فى تقديركم . . لماذا لم يسلم العسكريون السلطة بعد استقرار أوضاع الثورة للمدنيين والمتخصصين؟**

- كان هذا موضع نقاش . . وكان الهدف هو عمل ديمقراطية موجهة . . ففى خلال فترة مايو مثلا كان كل حكام الأقاليم مدنيين وكذلك الوزراء . . أما بالنسبة لى فأنا أتيت لمنصب الرئاسة بالانتخاب المباشر بعد تقنين الثورة . . فتسليم السلطة للمدنيين لا يعنى تسليمها للحزبية الطائفية

*** قيل إنها كانت انتخابات موجهة . . وإنك استخدمتك فيها قوتك كرئيس للدولة وحصلت على أكثر من ٩٩ ٪؟**

- **نتيجة الانتخاب لم تكن ٩٩ ٪ والاتحاد الاشتراكى هو الذى رشحنى وأنا قلت اننى لو حصلت على أقل من ٧٥ ٪ فلن أقبل المنصب . . لأننى كنت أحب أن أجمع الكل على رئاستى وكانت نتيجة الاستفتاء ٩٧ ٪ .**

*** هل ترى أن الدستور السودانى يحتاج إلى تعديل؟**

- الدستور السودانى مرن . . وتم إجراء التعديل فيه عدة مرات . . والتعديل يشترط : أن تتم الموافقة عليه بثلثى أعضاء المجلس هذا إضافة إلى أن الاقتراح بالتعديل نفسه يجب أن يقدم بواسطة نصاب قانونى محدد .

* * *

وجهـــان لعملة واحـدة

*** هناك من يقول: أن نظامى: البشير والنميرى وجهان لعملة واحدة، كلاهما استولى على السلطة بالقوة، فلماذا الاختلاف؟**

- الحقائق تقول: أن من تسلم السلطة هم ضباط فى القوات المسلحة السودانية وهذا هو وجه الشبه الوحيد فى حين أن كل الأشياء الأخرى مختلفة . . «**مـايـو**» عندما تسلمت السلطة كانت تمثل الشعب السودانى ولم تكن أحزابا أو فردا من الأفراد حباً فى الرئاسة والدليل على ذلك أننا فى نفس اليوم الذى قمنا به فى الثورة وضعنا شبه دستور للسودان نتحرك به، وبدأنا فى عمل المؤسسات . . وبـدأنـا بقـاعدة سياسية سميت الاتحاد الاشتراكى وانبثقت منه لجان لتـطوير القـرى، ولجان الآباء والمعلمين وعقدنا مؤتمرا تأسيسياً وضع أسسا فورية لمصلحة السودان . . كأن يكون الحكم فى السودان رئاسيا، وأن يكون هناك مجلس شعب، وقوى تحالف مختلفة بين العمال والموظفين والتجار والزراع والجنود.

ووافق الشعب السودانى فى مؤتمره التأسيسى على أن يكون الجيش من فئات التحالف وأن يشارك فى النقاش والنضال الوطنى، ولا يمنع أن يؤخذ رأية فى السياسة لأنه مواطن بالدرجة الأولى . . فكيف يكون أفراد الجيش السودانى مواطنين بالدرجة الأولى ولا يؤخذ برأيهم فى شئون السودان؟!

واشترك الجيش لأول مرة بصيغة - أعتبرناها - جيدة فى حين أعتبرها الآخرون تدخـلا عسكـريا لكن كان هنـاك. تمثيل للجيش فى المجـالس المختلفـة كالمجالس الإقليمية والمحلية، كما ضم مجلس الشعب السودانى ممثلين للجيش . .

من الناحية الإقتصادية . . نحن وضعنا أسسا اقتصادية تحركت بالسودان ١٦ عامـاً وانتشلتـه من الفقـر والمجـاعـة، وركـزنـا على الزراعة والصناعة

الخفيفة . . وبدأنا بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية التى انتشرت فى كل القرى والمدن السودانية على مسرح السودان العام ثم بعد ذلك يتم تكامل بين الأقاليم المتشابهة .

أما الجانب السياسى فقد أقمنا علاقات خارجية حميدة مع كل دول الجوار وخصوصا مع مصر التى تربطها بالسودان علاقات تاريخية . . وكنا نعتقد : أننا فى السودان حجر الزاوية نحو التحرك إلى الشمال فى نقل حضارة وادى النيل أى أن الحضارة بدأت فى شمال السودان ثم تحركت نحو الجنوب الشمالى .

والشىء الأساسى الذى نال اهتمامنا هو: نشر العلم فى أنحاء السودان ؛ كى تتحقق الرفاهية . . افتتحنا المدارس، وأعطينا رعاية كبرى لأطفال السودان مما زاد متوسط العمر من ٤٧ عاما إلى ٥٢ عاماً فى بداية حكمنا بالسودان .

أما حكم **البشير**: فأعتمد بالدرجة الأولى على حزب عقائدى . . وهذا الحزب كان معتمداً على الدين الإسلامى اعتماداً كليا ولكنه لم يطبق الشريعة الإسلامية وتاجر بالدين . . وللأسف هذه الواجهة العسكرية للحزب كانت تكذب أيضا . . **فالبشير وضع الترابى** فى السجن وهو يعلم أنه قائدهم كما أنه أضعف القوات المسلحة السودانية التى كانت مثالا يحتذى به فى التدريب أما قيادتها الرصينة فقد أحل محلها شخصيات عقائدية تتمثل بعقائد فى دول أخرى، فقد قام حكم **البشير** بتنفيذ ٣ طرق .

- الأول : إقامة جيش فى الداخل من المؤيدين لهم ؛
- الثانى : ضرب القادة الثوار والمخلصين لوطنهم .
- الثالث: جعل الكليات الحربية المختلفة تجند من له تعصب بالجبهة الإسلامية أو الإخوان المسلمين .

وأقام **البشير** مجالس سرية لا يعرف الشعب عنها شيئا . . وتتخذ هذه المجالس القرارات الهامة . . وهو بذلك أزاح الشعب السودانى عن المشاركة الفعلية فى حكم بلاده . .

وهذا هو الخلاف بيننا وبين حكم البشير.

* **لكن البشير تربى فى رحم ثورة مايو؟**

- نعم أن **البشير** وجد العناية العسكرية من ثورة مايو، لأنه مواطن يعمل فى داخل القوات المسلحة: وأخيراً تكشف لنا وللعالم أنه كان عضوا عاملا فى حزب عقائدى فى حين أن القوات المسلحة كانت تمنع أفرادها من العمل الحزبى فى جميع السودان.. وهذا الحزب الذى كان يشارك فيه البشير كان يمارس عمله فى الخفاء مستندا على سماحة مايو وثقتها فى المواطنين السودانيين.



■ نميرى والبشير هل هما وجهان لعمله واحدة ■

إسماعيل الأزهـرى أستـاذى

*** يقال أنك عملت خلال فترة حكمك على تصفية خصومك والزج ببعضهم إلى السجون؟ ولماذا كان موقفك من إسماعيل الأزهرى؟**

- البعض من تصور أن هؤلاء المعارضين يشكلون خصومة شخصية معى . . والحقيقة أن من وضع فى السجون أو سجن بحكم محكمة هم أعداء للوطن وللثورة . . وقد جرت لهم محاكمات عادلة .

أمـا إسـماعيل الأزهـرى فقـد كان أستاذى فى المدرسة وفى ممارسة العمل السياسى وكنت وما زلت أكن له كل تقدير واحترام لأنه هو الذى رفع علم استقـلال السـودان . . لكن كان طبيعيا عندما تسلمنا السلطة وكان ـ هو حينـذاك ـ رئيسا للحكومة أن نتحفظ عليه حتى لا يتدخل فى إفساد خطة تسلم السلطة .

ووضـع **الأزهرى** فى مكان يليق به ـ حتى توفاه ـ الله، وقد دفن بطريقة رسمية كرئيس دولـة، وأعـطينا اهتماما خاصا بعد ذلك لعائلة الأزهرى . . أهتممنا بهم وسهلنا لهم تحركات أبنائه، وتم تعيين ابنه عضوا فى برلمان وادى النيل . . عرفاناً بدور الزعيم الراحل فى استقلال السودان .

*** لكن ألم يتعرض لتعذيب أو لإهانات؟**

- بالعكس، فقد كنا نعطيه حق قدره من الإشادة فى كل مناسبة من مناسبات الاستقلال . وهذا معروف للجميع .

*** هناك من يقول أن سوار الذهب لم يتنكر للعهد الذى قطعه لك لكنه كان أمام أمر واقع لا مناص منه، وأمام ظروف صعبة كانت تمر بها السودان؟**

- هذا تقدير شخصى . . لم أذهب للسودان إلى الأن لكن ما أعرفه أننى تركت السودان لوزير الدفاع والقائد العام . . كان المفروض أن ينتظر حتى وصولى



■ إسماعيل الأزهرى كان أستاذى ■



■ الصادق المهدى ذهب إلى
ليبيا وحصل على أمدادات ■

الخرطوم خاصة، وأننى كنت موجودا بالقاهرة. . فإذا كان الشعب السودانى أراد التنكيل بى وقتلى فليكن بواسطة الشعب وليس بواسطته لكنه رفض أن أدخل السودان. . فإذا كنت قد فشلت فى قيادة الأمة فلا بد أن أترك القيادة للقائد العام. . لكنى أقول أنه خان الأمانة.

* **محاولات الاغتيال العديدة التى تعرضت لها ألم تكن مؤشراً على رغبة الشعب السودانى فى التخلص من حكمك؟**

- أنا شخصيا لم أشعر بأى محاولة لاغتيالى. . ما حدث بالفعل هو: ثلاث محاولات انقلابية لكن لم يكن فيها ما يوحى بأن الهدف هو اغتيالى. . وللعلم من السهل أن يتم اغيالى لاننى عادة ما أسير فى الشوارع بمفردى، وكنت أذهب لمنازل الأصدقاء والأقارب دون حراسة والانقلابات التى كانت تتم أو توشك أن تتم كانت تشير إلى أن وراءها سياسيين قُدامى. .

فالانقلاب الأول: كان محاولة من حزب الأمة للاستيلاء على السلطة؛ لأنهم كانوا يعتقدون: أننا شيوعيون، ثم قاد الحزب مرة أخرى انقلابا آخر لطمع «**الصادق المهدى**» فى أن يكون رئيسا وأكثر من ذلك ذهب إلى ليبيا وحصل على امدادات وأرسل قوات من داخل ليبيا لضرب السودان لكنهم فشلوا. . وانقلاب آخر من الحزب الشيوعى عام ١٩٧١ الذى استقطب بعض الضباط. . وكانت طريقتهم وحشية للغاية فقد قاموا بقتل ٣٧ ضابطا كانوا يقطعون الوقت بالتسلية أثناء اعتقالهم. . وقد تمت محاكمة الانقلابيين الشيوعيين فقدموا للمحاكمة وصدر حكم باعدام ستة منهم. . وهذا الانقلاب كان يضم قيادات شيوعية معروفة مثل: **عبد الخالق والشفيع**. . وقد تلقينا احتجاجات عديدة من الاتحاد السوفيتى وبعض دول امريكا اللاتينية الشيوعية وذلك لأن هذا التنظيم كان على علاقة بالشيوعيين فى تلك الدول.

أما الانقلابات الأخرى فكانت: محاولات فردية يقوم بها بعض الضباط لأسباب شخصية واهية كاحتجاج على ترقية بعض الضباط الذين يعملون معى بالرغم من أنهم أقدم من أصحاب الاحتجاج فى الرتب.

والحقيقـة أننى لم أكن خائفـا من هذه الانقلابات . . وكنت أذهب لأداء مهامى فوراً داخل وخارج السودان دون خوف ، فبعد أن دحرنا محاولة مرتزقة الطائفية الحزبية فى يوليو ١٩٧٦ سافرت فوراً إلى موريشص لحضور اجتماعات مؤتمر القمة الإفريقية . . وكنت قبلها فى رحلة عمل خارج السودان .

*** كيف أفلتَّ من كل هذه المحاولات؟**

- عناية إلهيه أخرجتنى منها . . ولم تكن هناك احتياطات إطلاقاً .

*** لكن قيل : إن جهاز أمنك الضخم كان وراء فشل كل هذه المحاولات؟**

- لا أعتقد ذلك لأن الحراسة المكلفة بحراستى كانت مسئولية مخابرات القوات المسلحة . والتى لم أكن أعلم عنها شيئا . . أما جهاز الأمن فقد كان حجمه صغيراً للغاية وكان يضم بعض الكفاءات الجامعية التى حرصنا على الاستفادة منها فى حماية أمن السودان القومى وليس تأمين رئيس الجمهورية . . وأقول بلا فخر أننى كنت أجوب شوارع السودان مع الضيوف دون خوف من أحد ، وكان الرئيس الأثيوبى **منجستو** مذهولا عندما خرج معى فى سيارة مكشوفة وسط الجماهير بالرغم من أنه كان مستهدفا .

والحقيقة : أن جهاز الأمن القومى السودانى كان فى حدود ٤ الآف فرد من مختلف الرتب فى حين أن القوات المسلحة كانت فى حدود ٦١ ألفاً . . وعندما انتهت مشكلة الجنوب ١٩٧٣ وعاد السلام سألنى الأمريكان عن عدد القوات التى كانت تحارب فى الجنوب . . فقلت إنها لم تتعدَّ ٦ آلآف جندى فى أقوى العمليات ، فى حين أنها لم تتجاوز الـ٤ الآف فى العمليات العادية . . وسئلت نفس السؤال من الإنجليز الذين كانوا يقدرون عدد القوات السودانية فى الجنوب بـ١٢ ألف جندى .

وأجبت بذات الإجابة السابقة : وقلة العدد فى القوات السودانية لا تعنى ضعفها إذ أن الجندى السودانى له من المقدرة الصدامية ما يفوق بها أمثاله فى العديد من دول العالم ، فالجندى السودانى يقوم بكل واجباته بنفسه لأنه يتحمل الجوع والعطش لمسافات طويلة كما أنه يسير فى كل الاتجاهات ليلا دون خوف .

استفدنا من قدرات الشيوعيين !

* **هل قامت ثورة مايو على اكتاف اليسار ومساندة كبيرة منه بعد أن تحرك الشارع السودانى الذى كان مهيأً لذلك؟**

- لم تقم ثورة مايو على اكتاف اليسار، فاليسار هو المعسكر الوحيد الذى لم يحكم السودان أبداً، ولم يكن للشيوعيين قاعدة مؤثرة فى السودان إطلاقا.

الشيوعيون كانت لهم قدرات فى العمل السرى ، ونحن كضباط وطنيين استفدنا من ذلك، إذ أنه كان من بيننا من لهم أصدقاء من الشيوعيين **كفاروق حمد الله، وهاشم العطا**.

كانوا يطبعون لنا المنشورات ويوزعونها كما كنا نصدر جريدة شهرية باسم «**الاحرار**» تعبر عن رأينا وتنشر مقالتنا، والحقيقة إننا أخذنا منه أسلوب العمل السرى فى مرحلة ما قبل الثورة لكن الثورة لم تقم على اكتافهم إطلاقا.

* **وهل كان الشارع السودانى مهيأ لاستقبال الثورة؟**

- كان الشارع السودانى مهيأ لأشياء كثيرة. . لأن الحكم الحزبى الطائفى كان يعانى من الاضمحلال، وكان حزب الأمة يناور بأساليب رخيصة ليسقط الحكومة، وكاد أن ينجح بعد أن دفع أموالاً طائلة لشراء أصوات بعض النواب فى البرلمان. . والمعروف فى السودان أن حزب الأمة يفتقر إلى سند المثقفين ويعتمد على البسطاء والسذج. . إضافة إلى أنه حزب يمينى رجعى.

وإزاء هذه الظروف اندلعت ثورتنا وهى تعتمد على جماهير معسكر الوسط. . وخلال مسيرة مايو عمل معى العديد من قادة الوسط ممن كانوا فى الصف الأول المساعد للرئيس الراحل **الأزهرى** ومن هؤلاء: **عز الدين السيد، والرشيد الطاهر، وأحمد السيد أحمد، والدكتور محيى الدين مبار، والمرحوم موسى المبارك** فهؤلاء كانوا: يمثلون الوسط والمثقفين فى السودان.

*** هناك مقولة تقول: أن الثورات دائما تأكل فلذات أكبادها.. هل حدث هذا في ثورة مايو؟**

- حدث هذا بالفعل.. بعض القياديين كانت لهم بعض الأطماع التى جعلتهم يتساقطون وذلك لحزم الثورة وعدم إعطائهم الفرصة للتلاعب.. وقد جاءنى أحدهم مرة يريد منزلا فى الخرطوم لأن أسرته كبيرة فرفضت ذلك لأن هذا المنزل كان معروضا للبيع فى السوق.. وكنت اعترضهم بالمنع من أن يتدخلوا فى شئون الرئاسة بعد تقنين الثورة.. فقبل ذلك كانت الرئاسة وشئونها من اختصاص مجلس قيادة الثورة ولكن بعد التقنين أصبحت ممارسة سلطات الرئاسة من اختصاص رئيس الجمهورية: الأمر الذى لم يتفهمه بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة فحدثت بعض الاختلافات وبعد قيام الجمهورية الرئاسية ما كان يحق من أعضاء مجلس قيادة الثورة التدخل فى شئون مجلس الوزراء أو مجلس الشعب.. وقد سبق وأن رفضت تدخلات ٤ من أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الوزارات أو استشاراتهم فى شىء إلا عن طريق المؤسسات ففضل بعضهم الاستقالة.

كما كانت هناك محاولات من بعض الضباط لشغل مناصب عليا فى حين إننى كنت أفضل أن أبقيهم فى القوات المسلحة.. وبرفضهم البقاء فى القوات المسلحة.. كنت أشغل منصب القائد العام ووزير الدفاع فى بعض المراحل لإعادة الأمور إلى نصابها.. بالفعل تساقطت بعض القيادات أثناء مسيرة الثورة.. فكان أن أكلت الثورة بعضاً من بنيها.



■ نعم الثورات تأكل فلذات اكبادها ■

أحـداث جزيرة آبـا

*** أحداث جزيرة آبا من الأحداث التى لم يحسم فيها الجدل خاصة فيما يتعلق بقصفها بالطائرات بمساندة أجنبية؟**

ـ للأسف لم أسمع بذلك إلا عندما وصلت لمصر عقب أحداث أبريل ١٩٨٥ وقيل لى أن بعض الكتاب كتبوا عن ذلك . . وتصورت فى البداية إنهم كانوا يقصدون بالقوات الأجنبية القوات المصرية التى كانت تربطنا بها علاقات حميمـة فى اتفـاقية الدفاع المشترك لكن لم يحدث أن استدعينا وحدات من الخارج سواء أكانت مصرية أو غير ذلك إلى السودان . . والحقيقة إنه كانت تأتى وفود عسكرية أحيانا للاستفادة من خبراتهم لمواجهة بعض الكوارث التى كانت يتعرض لها السودان .

فأحداث جزيرة **آبا** وقعت لأن الإمام **الهادى المهدى** تحصن بالجزيرة **آبا** ومعه حوالى ٣٥ ألفاً من المسلحين فى محاولة لمنع رئيس الدولة من دخول الجزيرة وكانت الجزيرة آبا هى آخر منطقة معنية بالزيارة بعد أن قمت بزيارة جميع المناطق فى السودان .

عنـدمـا شعـرت بذلك وخوفاً من اندلاع الفتنة قطعت الرحلة من مدينة **كوستى** التى تقع غرب الجزيرة ، ورجعت ولكنهم واصلوا تحرشهم . . وحاول بعض الضباط أن يتدخلوا لتصفية الأمور لكنهم قابلوهم بالضرب والركل . . وعندما تلقيت هذه المعلومات أصدرت أوامرى إلى «**أبو قاسم**» أحد أعضاء مجلس قيادة الثـورة ولـديه خبرة بعملياتنـا فى الجنوب أن يذهب إلى هناك ويشكل قيادة تكون على اتصال معى لمواجهة الموقف وكان المسئول السابق اتخذ من محلج للقطن مقراً لرئاسته ثم نقلها إلى مدرسة قريبة . . وفى أثناء الليل قام الإخوان المسلمون بحرق المحلج ، ومات **٣٠** شخصا من جراء هذا الحـريق ، وأبلغنى أبـو القـاسم بذلـك ، وطلب التدخل . . وكانت عندنا طائرات حديثة انطلقت من الخرطوم ، وأحدثت ذعراً باختراق حاجز الصوت وليس بالقصف وسط هؤلاء المتمردين ، فاضطروا إلى التسليم .

* **ولكن ألم يكن قصف أو قتل؟**

- حدث قصف من جانب المتمردين، حيث قاموا بضرب مدينة **كوستى** بالمدافع مما جعلنى أضطر إلى زيارتها فوراً.

* **وماذا حدث فى حى «ود نوبارى»؟**

- اندلعت مظاهرات وسارت فى اتجاه الخرطوم.. وعلى الجسر المؤدى الى الخرطوم كانت توجد قوات عسكرية أصدرنا لها الأوامر بوقف هذه المظاهرات، وعدم السماح لها بدخول الخرطوم التى تضم جنسيات أجنبية عديدة.. وعندما وصلوا إلى **ود نوباوى** طلب منهم قائد القوات: التفرق. إلا أن أحدهم عاجله بطعنة سكين، وقاموا بخطف الأسلحة من القوات، واستمرت الاشتباكات فترة طويلة..

وكلفت **اللواء بشير محمد على** وهو أحد الضباط الأكفاء بالقيام بعملية عسكرية بسيطة للاستيلاء على الأسلحة من المدنيين وعندما رفضوا التسليم اضطر **بشير** إلى استخدام المدفعية لحسم الاشتباكات.

* **لماذا شنقت محمود محمد طه على الرغم من أن قانون الإجراءات الجنائية فى السودان وقتها كان يمنع إعدام من تجاوز عمر السبعين؟.**

- عندما تقول: لماذا شنقت **محمود محمد طه**؟ يتبادر إلى الذهن أنك تقصد: بأننى أصدرت أمراً بشنق **محمود محمد طه**.. وهذا غير صحيح.. والذى أذكره أن المعلومات وردت لى بأن قانون الجنايات لا يمنع إعدام من تجاوز ٧٠ عاماً وأنا لم أطلب إعدامه إنما صدقت على حكم المحكمة بصفتى رئيس الجمهورية.. فالمحكمة قد حكمت عليه بما يحكم على المرتد وقد كنت حريصاً جداً فى التصديق على الأحكام بالأعدام فقد سبق تطبيق الشريعة أن شكلت لجنة من القضاة لمراجعة كافة أحكام الإعدام لإصدار التصديق عليها أو الإعفاء منها.. وأصدرت توصية لتلك اللجنة بتخفيف العقوبة على الحالات الآتية:

من كان أكبر من ستين عاماً، وإذا كان القاتل قريب القتيل حتى لا تفقد العائلة اثنين وإذا كان القاتل امرأة، وكان في بطنها جنين وباختصار فقد وضعت ١٦ حالة يجوز فيها تخفيف العقوبة وكل ذلك رحمة ورأفة مني على المتهم ولم يأت ذلك في صلب قانون الجنايات.

وبالنسبة لحالة **محمود محمد طه**، فقد قرأت: أكثر من ٥ كتب في المذاهب المختلفة واكتشفت أن الأعمال التي كان يقوم بها هذا الرجل تؤكد أنه مرتد فهو لا يصلي ولا يصوم ويدعى بأنه صاحب رسالة أخرى.. وقد سبق أن أصدر علماء السعودية فتوى بتكفيره كما كفره علماء الأزهر وحاكمته محكمة في الخرطوم على عهد إسماعيل الأزهري وأدانته أما أنا فقد صدقت على الحكم الشرعي الصادر بشأنه.. فاستغلت المعارضة هذه الحادث خاصة الشيوعيون.

* **يقولون: إنك تأرجحت بين العديد من الأيديولوجيات والمذاهب السياسية: بين اليسار، واليمين، والقوميين العرب، والتيار الإسلامي.. كيف؟**

- تأرجحت بين الأفكار والتيارات.. هذا شيء طبيعي إنني اكتشفت أن ذلك هو الأصلح للبلد.. هذا التأرجح كان السبب هو: الاستفادة من كافة الخبرات الوطنية، وإشراكها بصورة فعالة في النهوض بالوطن.

أما الوحديون فما زلت أومن بأفكارهم التي تمتد إلى أيام **الفراعنة** الذين تولوا شئون **مصر والسودان** كقطر واحد.. وعلى جدران المعابد والمغارات في مصر والسودان تجد بعضا من هذه المبادىء الوحدوية كما أن السودانيين متمسكون ببعض العادات التي تمُتّ إلى هذه الأفكار بصلة.

* **هناك من يرى: أن اتفاقية الحكم الذاتي الإقليمي كان باطنها العذاب وظاهرها الرحمة؟**

- بالعكس كانت الاتفاقية كلها رحمة.. بدأت هذه الاتفاقية أساسا باتفاقية أديس أبابا وارتكزت على البيان الذي صدر بعد أسبوع من اندلاع الثورة واعترفنا بالفوارق بين الجنوب والشمال في الثقافة والاقتصاد.. وأن الجنوب

أفقر مناطق السودان فى أشياء كثيرة جداً. . وطرحنا هذا على الشعب وبعد عام وقعت الاتفاقية فى أديس أبابا ورأس الجانبين جنوبيان. . وهذه الاتفاقية تنص على وجود مجلس إقليمى يرأسه شخص ومعه أربعة مفوضين وتشكل لجان لمراقبة وقف إطلاق النار ولجنة لدمج القوات المتحاربة فى الغابة مع القوات السودانية، ولجنة أخرى لجمع الإعانات واستقبال الوافدين من الخارج، ومن الغابة. . وإذا حدث اختلاف فى تفسير بنود الاتفاقية فالمرجع هو رئيس الجمهوريه ورئيس القوات المتحاربة.

ومن أجل تطوير هذه الاتفاقية لمصلحة السودان وضعت خطة لتنمية الجنوب محليا لأن رسوم الجمارك التى يدفعونها. . قليلة ووصلت تكاليف هذه التنمية المحلية إلى ١٦ مليون جنيه وما تم جمعه من رسوم الجمارك التى دفعوها لم تتجاوز الـ٤ ملايين جنيه. . والغريب أنهم رفضوا: كلمة(مفوض)التى جاءت فى الاتفاقية. . وتم الاتفاق على أن يكون الاسم: وزير إقليمى كما طلبوا زيادة عدد الوزراء، وقد جعلت ميزانية وزاراتهم خصما على ميزانية رئاسة الجمهورية كمساعدة أخرى لهم.

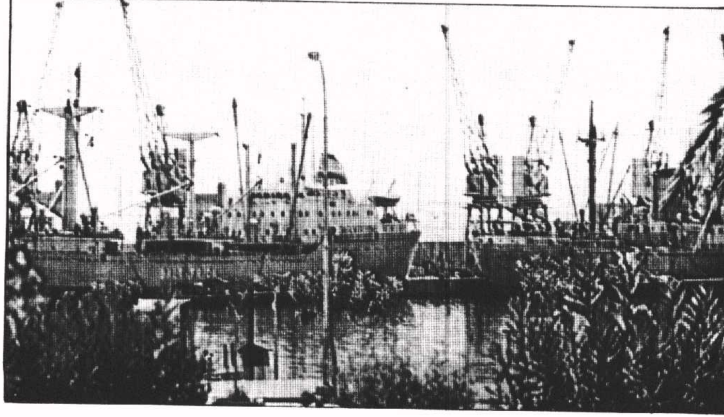
كما تم انشاء برلمان خاص بالجنوب كأول برلمان إقليمى فى السودان. . إذن كما ترى فإن اتفاقية **أديس أبابا** وجهت إلى ما هو خير ورحمة.

* * *

للسودان قوميتان

* قلت فى حديث صحفى أُجرى معك عام ١٩٧٩ أن السودان تجذبه قوميتان: - . . القومية العربية، والقومية الأفريقية وأن بعض المواقف العربية قد تجرنا إلى القومية الأفريقية . . لماذا؟

- أنا وكل السودانيين نشعر بأننا أبناء أمتين . . الأمة الأفريقية والأمة العربية وكانت هناك بعض المواقف العربية تنحاز للعرب فقط . . وربما يكون الانحياز للمواقف العربية ضد الأفريقيين . . ونحن لن يمكننا الانسلاخ عن أفريقيا . . ولكننا دائما نؤكد على: أننا أبناء الأمة العربية، والأفريقية . . لا نريد أن نخاصم أو نعادى الأخوين . . أو نتجاهل المصالح الأفريقية أو المصالح العربية فنحن جزء من المصلحتين . . فمثلا إذا ضغط العرب علينا لترك أفريقيا . . فإننا نرد عليهم: بأننا جغرافيا جزء من أفريقيا والسودان لها ارتباطات وثيقة مع أفريقيا.



التيار الدينى فى السودان

* **كيف تنظرون إلى مستقبل التيار الدينى فى السودان؟**

- التيار الدينى فى السودان لم يأت بالحرب كما حدث فى بعض الدول فالإسلام دخل السودان بالتصوف . . والصوفية لهم أكبر الأثر فى نشر الإسلام باللغة المحلية الدارجة والسهلة والتى يفهمها رجل الشارع . . وارتبطت الصوفية بأعمال خارقة للعادة . . فالسودانيون يعتقدون فى بعض المشايخ وفى قدراتهم . . وكل شيخ فى السودان له طريقة وله اتباعه ومريدوه . . ولا أقول أن كل الطرق الصوفية الموجودة بالسودان هى من أصل سودانى . . فبعض هذه الطرق دخيلة على السودان .

فمثلا أكبر الطرق الموجودة هى الطريقة القادرية نسبة إلى «**عبد القادر الجيلانى**» وهذه الطريقة لها أتباعها فى العراق .

وهناك الطريقة **الشاذلية** تتفرع منها طرق كثيرة مثل الطريقة **الختمية** و «**السمانية**» وهذه الطريقة جاءت إلينا من مصر . .

وهناك الطريقة **التيجانية** : والتى جاءت للسودان عن طريق المغرب الكبير.

هناك طريقة رابعة وهى خليط من بعض الطرق وهى الطريقة **البرهامية** والتى لها أتباع كثيرون فى مصر . .

والطريقة الخامسة هى : الطريقة **الإسماعيلية** وهى : طريقة سودانية ١٠٠ ٪ نشأت فى الأبيض فى غرب السودان وقد جاءت الطريقة **الأحمدية** عن طريق الجالية المصرية وانتشرت بين السودانيين ـ هذه الطرق منتشرة فى السودان . . وكل من يتبع هذه الطرق يحصل على شهادة من الشيخ بعد فترة بأنه أصبح مؤهلا لعمل خلية مؤهلة لنشر تعاليم الدين بأسلوب الطريقة .

* **لماذا قوى التيار الدينى فى الشارع السودانى؟**

- التيار الدينى له جذور. . والإسلام دين الفطرة. . والإنسان السودانى متدين بالفطرة. . وعن طريق الطرق الصوفية انتشر الإسلام فى السودان.

* **الملاحظ الآن فى السودان هو انتشار التيار الإسلامى المُسيَّس. . فهل تحولت الطرق الصوفية إلى السياسة. . وأصبحت مؤثرة فى الشارع السياسى. . كيف حدث هذا؟**

- الإسلام دين كلما انتشر العداء ضده زادة انتشارا بين الناس. . أى أنك عندما تحارب الإسلام تجده ينتشر فمثلا الإسلام انتشر فى آسيا بالحرب. . والدين الإسلامى دين الإشعاع ، والحملات التى نزلت للسودان سواء من المغرب أو من مصر أو من اليمن كلها حملت إشعاع الإسلام. . وفى السودان تجد هناك بعض الأسماء التى دخلت مع الدين الإسلامى مثل كلمة «**شيخ**» التى جاءت من منطقة الخليج. . وكلمة سلطان جاءت من حضرموت واليمن. . وكلمة «**ملك**» جاءت من المغرب والجزيرة العربية. . وفى السودان خليط من العادات **العربية، المغربية، والمصرية، واليمنية، والسعودية**. . ففى السودان آخر قبيلة قوامها ١٥٠ ألف نسمة جاءت للسودان من السعودية وهذه القبيلة تسمى **الرشايدة أو الزبيدية** فلا زالت هذه القبيلة تحمل عادات أهل السعودية على الرغم من أنه لم يتبق منهم بالسعودية سوى خمسة الآف. . وهذه القبيلة تعمل فى تجارة الإبل معنى هذا أن الدين الإسلامى انتشر فى السودان بطريقة عفوية ولا يوجد دور مخطط لنشره.

* **حينما توليت حكم السودان. . هل وجدت أن كل هذه التيارات تنتشر بشكل عفوى.**

- حينما توليت حاولت الاستعانة **بالأزهر**. . وبالسودانيين الذين درسوا الدين فيه. . للعمل على نشر الإسلام بالمنهج الشرعى السليم لأن ما كان يحدث قبل أن أتولى الحكم أن أسلوب الدعوة كان يعتمد على العفوية ،وبعد فترة من حكمى وجدت أن أفضل طريقة لنشر الإسلام هو تعليم اللغة العربية

ومنذ أن توليت الحكم كنت حريصاً دائماً أن أبدأ حديثى بـ «**بسم الله الرحمن الرحيم**» وانتقل هذا الأسلوب إلى منطقة الجنوب غير المسلمة واذكر فى إحدى المرات بعد أن توقفت الحرب فى الجنوب أننى زرت جزيرة «**ننجاك**» التى كان يدور بها القتال ما بين مؤيدى الحكومة ومعارضيها التقيت بالكجور الفقية الوثنى وهو شخص له منزلة خاصة وكان الناس يعتقدون فى قدرته على شفاء المرضى والتحكم فى نزول الأمطار فحينما زرت الجزيرة أقاموا حفلا كبيرا للسلام . .

وقالوا لى: إننى الرئيس الذى جاء بالسلام . .

وقالوا: أنهم سيمنحوننى لقب **كجور** وإجراءات الحفل كانت هى ارتداء ملابس جلدية . . وضرب الثور بالحربة ليتم شرب دمائه، ثم ذبحه وعند عملية الذبح نادى البعض أن قبلوا القبلة أى وجه الثور إلى القبلة وطلب آخرون أن يكبروا ثلاث تكبيرات «**الله أكبر**» قبل أن يذبحوا الثور وبالطبع رفضت شرب الدم والناس يومها عرفت تأثير ثقافة الإسلام فاللغة العربية سهلت معرفة تعاليمه الأمر الذى جعل بعضهم يعتنق الإسلام فعلا.

* **بقى أن نعرف رأيك فى مستقبل التيار الدينى فى السودان؟**

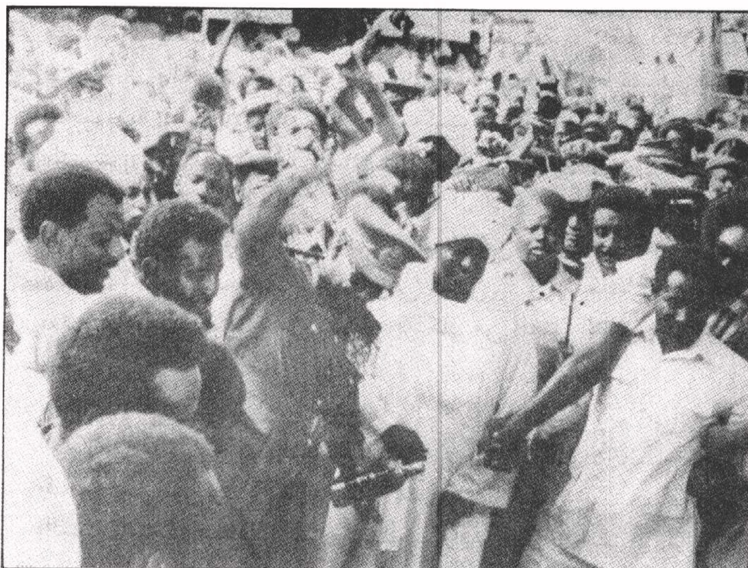
- إذا ظلت الأمور تسير بنفس الأسلوب الذى يتبعه الإخوان المسلمون فإنهم سيلاقون مقاومة شديدة . . ولن يسيروا للأمام . . فأسلوب الإخوان هو العنف . . والعنف لا ينفع فى السودان.

* **هل تقصد العنف فى تطبيق الشريعة الإسلامية؟**

- العنف فى تطبيق الشريعة الإسلامية وفى معاملاتهم، فمثلا جمعيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تضرب الناس فى الشوارع حتى يؤدوا الصلاة . . فالممارسة الحالية تنفر الناس من الإسلام.

* **هل أنت مع تسييس الدين . . وهل أجبرت أبناء الشعب على الشريعة؟**

- لا . . لست مع ذلك . . لا بد أن يكون الناس مقتنعين بالدين كى يدخلوا



■ نميرى حطه إراقة الخمور و بجواره اللواء عمر الطيب ■



■ نميرى وحسن الترابى يتابعان إعدام الخمور ■

فيه . . وما يقال : أننى أجبرت الناس على الشريعة . . هذا الكلام غير صحيح . . فالشريعة تم إقرارها فى المؤسسات العامة ، وأنا بصفتى رئيسا للجمهورية وقعت بالإمضاء ، والتنفيذ ، وكنت مقتنعا بذلك . . لكنى لم أدع «**لتسييس**» . . الدين ـ لأن الإسلام دين وسياسة أصلاً ، وكل ما فعلته هو: أننى كتبت «**نشرة**» للقادة فى السودان : أن من يشرب الخمر ، أو يزنى لا يصلح للعمل معى فى القيادة . . وأنا مؤمن دائما أن فاقد الشىء لا يعطيه . . وبدأت بنفسى ووقف معى الناس . . إلا شخصا واحداً جاء بعد شهر وأعلن موافقته على ذلك ، وقد كان من أفضل الناس بعد عودته للحق .

لكنى أؤكد : أننى لم أجبر أحداً على الدخول فى الدين الإسلامى . . ولم أجبر أحداً على أن يحاكم بالدين الإسلامى . . فمثلا بعض الأجانب جاءونى وقالوا انهم يشربون الخمر . . قلت لهم : عندنا قوانين يجب أن تحترم . . والسودان منعت صناعة الخمر ومنعت استيرادها . . فمن يستورد خمرا كان يعاقب بقانون التهريب ومن يصنع خمرا يحاكم بقانون الصناعة .

* **يقولون : إن التيار الإسلامى السياسى كان قد قويت شوكته أيام حكمك . . فى ظل اتجاه الجبهة القومية السودانية . . وما يحدث الآن هو امتداد لهذه الفترة؟**

- من الجائز أن يكون هذا صحيحا . . لأننى أعطيت الفرصة لأناس للعمل كأفراد فى المصالح الوطنية مثلهم مثل غيرهم . . لكننى اكتشفت مؤخراً أنهم كانوا يعملون بطريقة سرية جداً . . ويجتمعون كحزب إسلامى وإرهابى . . ولهم طرقهم فى أداء أعمالهم التنظيمية السرية . . وهدفهم كان اضعاف النظام من الداخل وهذا الكلام قد قاله رئيسهم . . حيث قال : إننا دخلنا كى نخرب من الداخل . .

وللأسف الشديد فإن الأسلوب الذى يعملون به فى السودان يعملون به أيضاً فى بعض الدول العربية وما أريد قوله : أننى اعتمدت على هؤلاء الناس كمثقفين ووطنيين ؛ لكنهم استغلوا ذلك ، وعملوا بطرقهم الجهنمية للوصول إلى هدفهم .



■ كنت رئيساً لحسن الترابي ■



■ حسن الترابي
رجل زكي ومتمكن ■

كنت رئيسا لحسن الترابى

*** من أين لحسن الترابى بهذا النفوذ القوى فى السودان؟**

- أعتقد أن الجبهة الإسلامية تعمل ضمن منظمة عالمية. . وأعتقد أن لها صلات بما يحدث فى باكستان، والجزائر، وتونس، والصومال، والمغرب. . وأنا أخشى كثيراً على السعودية لأن هناك محاولات لاختراقها، بل وقد تم الاختراق عن طريق خيرة المثقفين السودانيين الذين يعملون فى السعودية منذ سنين خلت.

*** كيف كانت علاقتك بحسن الترابى أثناء حكمك؟**

- علاقتى به كانت جيدة جدا. . فكنت زميلاً له فى المرحلة الوسطى وفى الثانوية. . وافترقنا فى الجامعة حيث دخلت الحربية وهو دخل الجامعة. . وعمل معى مساعداً لرئيس الجمهورية ولكن وضح أنه كان يساعد حزبه تحت مظلة الثقة المطلقة التى كنت أتعامل بها معه.

لقد كنت أحترمه وأقدره. . وكنت أعتقد: أنه رجل هادىء ومتدين. . وكانوا فى سنوات الدراسة يرددون عنه أشياء كثيرة. . وهو رجل ذكى، ومتمكن. . أستطاع أن يصبح الأمين العام، أو المرشد كما يلقبونه بدهاء. . وهو الذى يحكم السودان الآن بدهاء أيضاً.

*** كان لك العديد من الصداقات مع رؤساء الدول. . من بقى منهم حتى الآن صديقاً لنميرى بعد أن ترك السلطة؟**

- الذين مازلت أكن لهم كل الود والإخلاص هم **الرئيس حسنى مبارك، والشيخ جابر الأحمد الصباح، والسلطان قابوس، والشيخ زايد بن سلطان، والملك فهد، وخليفة بن حمد آل ثان، وصدام حسين** رغم أخطائه، **والرئيس الأسد، والملك الحسن، وياسر عرفات.**



■ مبارك ونميرى■

*** لكن من هم الذين يسألون عنك دوما؟**

- ليست هناك علاقات مستمرة إلا علاقة الرئيس حسنى مبارك.

*** لماذا لم تحاول الاتصال بأصدقائك القدامى من الرؤساء والمسئولين؟**

- لم أحاول حتى لا أحرجهم وأضعهم فى موقف دقيق مع السلطة فى السودان. . . وكتبت لبعض الرؤساء خطابات خاصة لمساعدة السودان فى رد ٤ مدن سودانية أستولى عليها جيش المتمردين. . وأستجاب الرؤساء العرب لمساعدة السودان.

* * *

عــداء مع القـذافـى

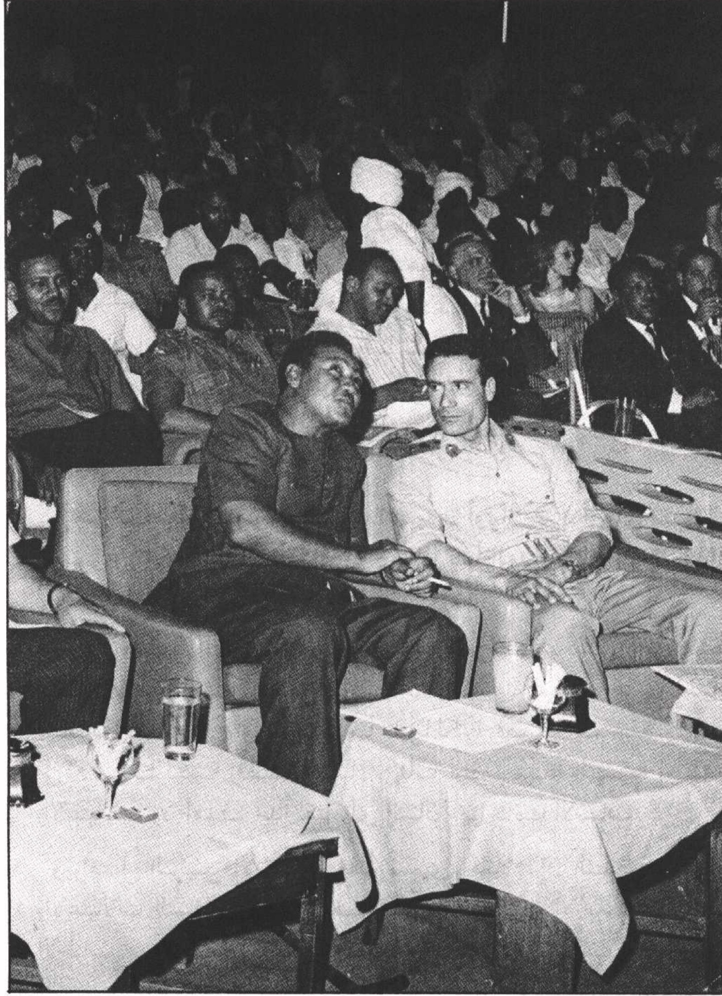
*** يقال أنك تورطت مع المخابرات الأمريكية فى محاولة قتل الرئيس القذافى، وضرب باب العزيزية عام ١٩٨٤ وأن ذلك تسبب فى عداء بينك وبين القذافى؟**

- هل يعقل أن الجيش الأمريكى يتحرك بأمر من النميرى؟ كما أن التنسيق مع المخابرات الأمريكية غير وارد لأنه ليست هناك قواعد أمريكية فى السودان كما فى ليبيا . . كما أنه ليست لدينا قدرة على دعم المعارضة الليبية بالسلاح . . وهذا ينفى اتهام القذافى لنا بأننا أعطينا سلاحا للمعارضة الليبية للقيام بهذه المحـاولة . . وبالعكس من ذلك فقد تحرك القذافى بطائراته وضرب إذاعتنا التى قال عنها إنها تزعجه بالرغم من أنها إذاعة ضعيفة لا تسمع بوضوح فى السودان ذاته .

*** هل شاركت معكم المعارضة الليبية بالتنسيق، أو بالتدبير، أو بأى صورة من الصور فى محاولة اغتيال القذافى؟ . . ولماذا نشأ العداء بينك وبين القذافى بعد صداقة طويلة؟**

- سياستى ومبادئى الأساسية هى عدم المشاركة فى الاغتيالات، وعلى سبيل المثـال فقـد حدث أن بعض المؤسسـات والهيئـات عرضت علينـا اغتيال «الصادق المهدى» فى أوربا وطلبوا منا مليونا لكننا رفضنا . . ثم خفضوا المبلغ إلى ٥٠ ألفـا لكننـا رفضنـا أيضـا . . فأنـا أرفض مبـدأ التصفية الجسدية والاغتيالات ولا أهدف أبداً لقتل أى إنسان مهما كانت الأسباب .

ويواصـل الـرئيس الأسبق «جعفـر نميرى» قائلا: إن التصفية الجسدية والاغتيالات السياسية لم تكن معـروفــة للســودانيين إلا بعـد أن جاءت الأحزاب . . وكانت أول تصفية جسدية هى التى قام بها حزب الجبهة حيث قاموا بقتل «**الحكيم**» فى الخرطوم، لأنه كان سيفضحهم بالوثائق ثم قتل ٢٨ ضابطا بدون اجراءات محاكمة . .



■ نميرى والقذافى فى الأيام الخوالى ■

* **قلت إن مبدأ الاغتيالات غير وارد فى فكركم . . وقلت أنه عرضت عليكم عروض للاغتيالات وأنكم لم تستجيبوا . . فلماذا كان العداء بينك وبين القذافى . . وهو العداء الذى لا يزال قائما؟**

- العداء بينى وبين **القذافى** كان شديداً . . **لأن القذافى** يعتقد: أننى أنافسه على قيادة الشعب العربى ، وكان يعتقد: أن الشعب المصرى لا توجد عنده قيادة أيام الرئيس **السادات** . .

وكان **القذافى** يردد ـ دائما :ـ أشياء عن الوحدة . . لكننى كنت دائما أقف ضده، وهذا حدث فى أول زيارة لنا لطرابلس أنا، والرئيس **جمال عبد الناصر**. .وهى الزيارة التى عملنا فيها **«ميثاق طرابلس»** ويومها غضب القذافى . . لأنه كان يعتقد: أننا سنعلن الوحدة أثناء هذه الزيارة . . لكنى قلت له: «**ياأخى** السودان لا يعرف ليبيا إلا بالاسم . . **فلا توجد** بيننا اتصالات بيننا . . وهناك الصحراء التى تفصلنا عنكم فالقبائل لا تتعارف ولا العمال ولا المزارعون أما علاقتنا بمصر . . فنحن وهم يعرف بعضنا البعض . . أما ليبيا فلا يوجد أى مصدر يعرفنا بها .

وقلت له: دع الأمر عاماً أو عامين حتى نكمل المؤسسات الداخلية وبعدها الكلمة ستكون للمؤسسات التى تمثل إرادة الشعب . **وميثاق طرابلس** الذى كتبناه وكتبه **الرئيس جمال عبد الناصر** لم ينفذه ـ أبداً ـ **القذافى** . . حتى وفاة **عبد الناصر** لم يتم تنفيذ أى شىء فى الميثاق . . فعندما كنت أعترض على آراء **القذافى** كنت أفعل ذلك من منطلق قناعتى وإيمانى بمبادىء معينة ، ولكن **القذافى** صعد هذه المواقف إلى حد العداء الشخصى . . الأمر جعله يؤدى العمرة شكراً لله فى أبريل ٨٥ .

* * *

ردود أفعـال متبـاينة
لمـاذا تلـميع نميـرى ؟

تابعت ـ مثلى مثل الكثيرين من السودانيين ـ الحلقات الأربع التى عكست الحوار الذى أجراه **الأستاذ / محمد مصطفى** مع الرئيس السودانى الأسبق **جعفر نميرى**.

والحق أقول: إن الإجابات قد عكست فقراً فى المفهوم، وخواء فى المعلومات وضعفا فى التناول لقضايا هامة من الممكن أن تكون الإجابة عليها إثراء للفكر السياسى، والمفهوم الاجتماعى من واقع تفهم ناضج للقضايا السياسية.

ولكن أرادت لنا صحيفتنا **(السياسة)** أن نعيش فى حالة استنفار نفسى، نترقب به الحلقة التالية من الحوار على أمل أن نجد: مادة خصبة وفهما عميقاً من الطرف المعْنى بالحوار تمحو عنا غث سابقتها إلا أن شيئا من هذا لم يحدث، وصدقت الحكمة القائلة: **فاقد الشيء لا يعطيه!**

ويبــدو لى أن الأستاذ محمد مصطفى ـ عفا الله عنه ـ أراد: ـ عن سبق إصرار ـ أن نعيش الغثيان، والتيه مع إجابات نميرى، أو أنه ـ لحاجة فى نفسه ـ أراد أن يكشف نوعية ومفهومية الحكام العسكريين!

بادىء ذى بدء أود أن أؤكد: أنه ليس هناك علاقة بين بقاء حاكم لفترة طويلة فى الحكم، وصلاحية، وقبول ذلك الحاكم، حيث أن هناك من الظروف الداخلية لأى بلد ما قد يسهم فى بقاء ذلك الحاكم، وإن كان ضد إرادة شعبه فى حين نجـد زوال حاكم آخـر فى فترة قصيرة حتى، ولو كان مقبولاً شعبياً، وبالطبع هناك العوامل الإقليمية، والدولية بجانب الظروف المحلية كلها، أو بعضها تحدد بقاء الحاكم من عدمه.

ولا نريد: أن نخوض فى هذا إذ ما يعنينا فى هذا المقام هو استعراض سريع مدعم بالأدلة المعاشة المسنودة بواقع فعلى لما كان عليه حال الحكم إبَّان فترة الست

عشرة سنة التى قضاها نميرى، وزمرته فى السلطة.

عتبى على **(السياسة)**، وهى تفتح صفحاتها لحاكم ديكتاتور ساهمت هى - كصحيفة حرة - فى إسقاطه، وما مقالاته الوطنية الشهيرة ببعيدة عن الأذهان!

عتبى عليهـا، وهى تفسح المجال أمام رئيس؛ قال فيه الشعب كلمته، وأنهى بانتفـاضـة شعبية عارمـة نظام حكمه، ولكنه رغم ذلك يعيش أحلاماً نرجسية للدرجة التى يصف فيها انتفاضة الشعب السودانى العظيم فى أبريل عام ١٩٨٥ بأنها: نكسة إبريل ١٩٨٥، وفى هذا الوصف المنحط مؤشر على طريقة تفكيره!

عتبى عليك **يا صحيفة (السياسة)** وأنت تستفزين مشاعر السودانيين، ومن بينهم قراء محبون لك يعترفون بدورك الفكرى والتوجيهى!

وحتى نكون موضوعيين - كما آلينا على أنفسنا - فإنه سيتم **تقسيم مناحى الحياة إلى: ١ - سياسية ٢ - اقتصادية ٣ - اجتماعية ٤ - تعليمية.**

ونحاول تطبيق هذه العناصر على الواقع الذى تم فى فترة **حكم نميرى**، ومن خلال التطبيق نأمل أن يستبين القارىء ما كان عليه حال حكم نميرى، وما انطوت عليه إجاباته فى الحوار المشار إليه ومع وجود هذا التقسيم فإننا نعتقد بأن هنـاك تداخـلاً بين هذه العنـاصر جميعها وإن كانت تخضع لمظلة التوجه السياسى لأى نظام حاكم فى بلد ما فى فترة ما!

١ - الجانب السياسى:

أن يصف سيادة الرئيس المشير جعفر نميرى نظام عمر البشير بأنه: خطيئة فى تاريخ السودان! عجبى

وهذا حديث لا بد من التوقف عنده كثيراً فنميرى، والبشير وجهان لعملة واحدة! كلاهما دَرَس، وتدرب عسكرياً وكلاهما استولى على السلطة بقوة السلاح وجنازير المدرعات منهيان حكماً ديمقراطياً شرعياً مهما قيل فيه وكلاهما حنث بالقسم الذى أداه على المصحف الشريف.

فماذا يُرجىٰ من حاكم حنث بيمينه وبقسمه، وضرب عرض الحائط بمصداقيته مهما قال من مبررات يشفع بها لعملية استيلائه على السلطة ومهما طرح من وعود وأمنيات؟!

ثم أليس عمر البشير، ورفاقه وكلهم، أو معظمهم برتبة عميد قد تربوا فى رحم مايو، وعانقوا الحياة العسكرية فى ظل نظام مايو، وعرفوا بواطن الأمر فى ظل مايو وعلى رأسهم نميرى، وتعلموا: من الأساليب، والطرق ما يعتبر امتداداً لمايو وإن اختلفت الأهداف؟!

وما قد أفرزته الأحداث والتطورات التى يعيشها السودان، وشعبه تؤكد: أنهما وجهان لعملة واحدة إذن ليصمت نميرى وليحفظ بيته المشيَّد من زجاج.

نميرى والبشير، وأمثالهما يعتبرون كلهم ضد معطيات العصر، والتوجه العلمى المبشر بديمقراطية وصيانة لحقوق الإنسان ـ خاصة ونحن فى الهزيع الأخير من القرن العشرين ـ

ولكن ماذا نقول **يا نميرى والخطيئة مايو** ويونيو وحقاً أن الشىء بمَعْدِنِه!، خطيئة نظام البشير ليست هى وحدها التى لطخت وجه التاريخ فالبشير، ورفاقه غير غرباء على مايو، ولا مايو منهم ببعيدة!، وهم نشأوا، وتربوا فى كنف مايو، وهم نفس الضباط الذين أبقيت عليهم بالخدمة بعد أن شردت الكثيرين للحفاظ على نظامك السياسى القهرى.

وأمل - مخلصاً - أن تعود إلى رشدك : وتحاول أن تتذكر: رفاقك، ولا تنكر على غيرك ما قد أقدمت عليه أنت بنفسك.

أحرامٌ على بلابلهِ الدوحُ ... حَلاَلٌ للطير من كل جنسِ

ووقفة قصيرة لا بد منها عن إدانتك للمشير عبد الرحمن سوار الذهب رئيس الحكومة الانتقالية نقول لك لتعلم : إن كنت لا تعلمُ - بأن **سوار الذهب** لم يخنك لم يتنكر لعهده الذى قطعه لك، وإنما كان أمام أمر واقع لا مناص منه ؛ لأنه قدر حتمى فإما أن يقبل، أو الطوفان؟

وحتى هو لم يكن مختلفاً عنك كثيراً حين كانت فترة العام التى قضاها فى الحكم وبالاً على الحياة السياسية فى السودان لأنه عجز عن التعامل مع قضايا مهمة : كان من الممكن أن تحسم من خلال التفويض الشعبى الثورى، وعلى رأس ذلك إلْغاء العمل بقوانين سبتمبر وتصفية آثار مايو، ومحاكمة الذين تلاعبوا بمصالح البلاد العليا.

وعلى كلٍ أذكرك بقول الشاعر:

ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم!

ب - نظام الحزب الواحد، والممارسات العنيفة :

قامت سلطة **مايو** على أكتاف اليسار، بمساندة كبيرة منه، وقد حركوا له الشارع السودانى الذى كان مهيأً لقبول أى تغيير، وما أن تمكن **جعفر نميرى** من الحكم وملأ يده منه حتى أحسَّ بخطورة تيار اليسار عليه، وتحقق القول الذى سيقول: **الثورة تأكل بنيها مثل القطة الشرسة الجوعى حين تأكل فلذات كبدها!**

فحَـدثَ ما حَدثَ من إزهاق لأرواح زملائه العسكريين وحتى المدنيين لم يسلموا من قبضته وفقدان حياتهم، وكانت كارثة!

ونمـر، على هذا الحـدث مروراً سريعاً، لكننا نريد: من خلال عرضه،

وعرض أمثلة أخرى أن نقيم الدليل، والبرهان بأن نميرى ـ وفى سبيل الإبقاء على شخصه فى دست الحكم ـ أزهق أرواحاً كثيرة

إذن لماذا يعيب على البشير ارتكاب الشىء نفسه، وكلاهما فى الذنب شرق؟!

وفى حالة بحث عن سند اتجه نميرى نحو تنظيم الوحدويين (الناصريين)، وبذلك أخذ يقترب أكثر من مصر، وقيادتها، وبدأت وحدات العمل الوحدوية تكثيف جهودها وبذل كلّ ما فى وسعها لمساندة النظام، وفجر هذا التحرك الإيجابى من جانب القوى الوحدوية الناصرية التناقضات، والتناصرات، والخلافات بين بقايا اليسار المعتدل، وبقايا اليسار المتطرف الذى كان يعمل ليل نهار لاستعادة قواه ـ من جديد ـ فى محاولة لاحتواء النظام.

وشهدت وزارة الشباب والرياضة التى أنشئت فى عهد نميرى جانباً هاماً من هذا الصراع المحموم.

المهم فى الأمر وضح ضعف التيار الأخير بين أوساط الجماهير، وأخذت تتبلور فى هذه الفترة فكرة النظام السياسى، وإن لم تظهر كأطروحة للجميع.

يا سيادة الرئيس نميرى هل نسيت أحداث الجزيرة آبا حين ضربت بسلاح الجو ـ وبمساعدة خارجية ـ الشيوخ، والنساء، والأطفال، والبهائم الرتع.. الخ؟!

هل نسيت إزهاق أرواح الأبرياء بطلقات مدفعية نظامك فى الجزيرة آبا وفى منطقة **ودنوباوى**؟.

وهل نسيت إسكات كل صوت رافض لك، لنظام حكمك، فأدخلت البلاد، والشعب فى حمامات الدماء والدمار وهى أمور لم يعهدها الشعب السودانى؟!

فإن سار البشير ورفاقه على نفس الدرب فهم لهم فى قيادتك، وأسلوب قلمك القدوة، والمثل ـ خاصة ـ وأنك ظللت فى الحكم ١٦ عاماً بعد أن أدخلت

الرعب فى نفوس الجميع، وفتحت السجون على مصراعيها لتستقبل **آلالاف ممن** اختلفوا معك ومع أسلوب حكمك حتى **محمود محمد طه قد طالته يدك، فشنقته** على الرغم من أن قانون الإجراءات الجنائية الذى كان **معمولاً به فى السودان** يمنع إعدام من تجاوز عمره السبعين، وكان عُمُرُ محمود أكثر من ذلك؟!

بل إن نظام حكمك قد قطع أيادي الناس بموجب قانون مبتور حين قويت شوكة التيار الإسلامى من السياسى وإبان فترة قيام نظام الحزب الواحد **(الاتحاد الاشتراكى السودانى)** حيث قويت شوكة الجبهة القومية الإسلامية **الاتجاه الإسلامى سابقاً!!**

فأنت وحدك المسئول عما حدث، ويحدث للسودان، وشعبه إذا كانت فترة حكم ست عشرة سنة كفيلة ببناء مجتمع سليم معافى.

لكن حبك للسلطة، وشهوة الاستمرار فيها جعلتك تتجه إلى بناء جهاز أمن قوى كانت مهمته الأساسية: المحافظة على النظام الحاكم، وعلى رأسه سيادتكم!؛ وظللت تترنح بين اليسار، والقوميين العرب إلى أن نجح اليمين فى احتضانك أو قل إن أردنا الدقة سعيت أنت إليهم، ومد كل واحد منكما للآخر يداً!

فعلت ذلك حين شعرت بانفضاض الكثيرين من حولك، وذلك فى محاولة لتثبيت أقدامك، وضمان استمرار حكمك، وأنت على رأسه فلا تبكِ على أفعال ما صنعته وقوته يداك ولتتذكر قول الشاعر:

أعلمه الرماية كل يومٍ فلما اشتدَّ ساعدهُ رمانى
وكم علمتُه نظمَ القوافى فلما قال قافية هجانى!!!

(وعلى نفسها جنت براقش) أيها السيد الرئيس؟ حرام عليك أن تؤكد: بأن الاتحاد الاشتراكى كان منبراً حراً وديمقراطياً بينما كل من فيه من المطبلين، وحارقى البخور إلا القلة اليسيرة جداً، أو ممن كانت له فى نفسه حاجة!!

وهل نسيت تزوير الانتخابات ولصالحك وبنسبة ٩٩,٩ ٪، وأنت المرشح الوحيد؟!

وما تعيبه على نجاح الجناح العسكرى للجبهة الإسلامية فى القيام بانقلاب حديث تتحمل فيه أنت وحدك وزره

وليس الأحزاب الكبيرة مثل **الاتحادى الديمقراطى**

والأمة التى - كنت، ولا زلت - تحمل لها حقداً ليس له ما يبرره حيث تعمل وفق سياسة الباب المفتوح وليس من وراء الكواليس، أو الدهاليز إذن أنت وحدك - ومن خلال فترة حكمك - مكّنت بعض العناصر اليمينية المتطرفة من التسلل إلى **القوات المسلحة**، والانتماء إليها، وخلق خلايا، وزرع كوادر كقنابل زمنية موقوته؛! أنت المسئول عما حدث. أغفلت جانباً هاماًّ كانت نتيجة هذا الذى تجأر بالشكوى منه.

فلماذا تبكى أو تتباكى فى حين أنك أنت القاتل؟!

جـ - اتفاقية الحكم الذاتى الإقليمى

فى سبيل إيقاف نزيف الدم بين الإخوة وإيقاف التناحر، والنزاع هندس لك فلاسفة نظامك أمثال **منصور خالد، وجعفر بخيت، وأحمد عبد الحليم** وغيرهم **اتفاقية الحكم الذاتى الإقليمى**.

ولم يكن الغرض منها تحقيق الفهم الذى طرأ للذهن بمجرد قراءة العنوان، وإنما كان الغرض منها تثبيت دعائم حكمك للسودان: فما أن ملكت زمام الأمور حتى شرعت تضرب فيهم وتفرقهم شمالاً، ويميناً كدأبك دائما، وكعادتك حين تستأسد.

فمنهم من ترك العمل معك أمثال د. **منصور**، ومنهم من مات بالذبحة الصدرية أمثال **الدكتور جعفر بخيت**، وبقيت البقية لا حول لها ولا قوة.

يمضى ترنحك، وتمضى قافلة إمساكك للزمام وطالما لا زلت أنت الرئيس الملهم؟! وهناك الكثير الذى يمكن أن يقال - فى هذا الجانب - لولا الحير المسموح به، والذى تجاوزناه!

د ـ قضية الفلاشا :

هذا موضوع ظاهر لكل ذى عينين، ولا أظننى فى حاجة إلى الإسهاب فيه حيث تناولته الصحف، ووكالات الأنباء؛ ولكن لتعلم بأنك بفعلتك تلك . . قد فُقْتَ ، وتجاوزت أى حدود مرسومة قد تكون محددة لرئيس دولة .

ومما لا شك فيه أنك تواطأت بشكل أو بآخر فى إنجاح هذا العمل للدرجة التى يمكن أن نشك بأنك قد قبضت الثمن؟! كأنما الرئاسة خيانة فى فهمك، وعرفك .

لذا لا يحق لك أن تتحدث عن القضية الفلسطينية، أو عن الانتفاضة **وأطفال الحجارة . فهلا صمتّ سيدى الرئيس؟!** .

هـ ـ تسييس الخدمة المدنية :

كانت الخدمة المدنية فى **السودان** قبيل نظام حكمك مضرباً للأمثال من حيث الأمانة، والكفاءة، والدقة، وإنجاز المعاملات، ومن حيث الضبط، والانضباط .

فما أن هلّت على **السودان** نجوم نحسه يوم أن استوليت على السلطة بقوة الحديد، والنار حتى مس تيار التدهور الخدمة المدنية فأخذت تنهار شيئا فشيئا بفعل تدخلك، وتدخل رموز نظامك وبعد أن كانت جهازاً محايداً بدأ السوس ينخر فيها رويداً رويدا إلى أن خرت حيث كانت **كعصا سيدنا سليمان**؟ فما بقيت العصا وما بقى السيد؟

وانظر لفعلتك فيها وآمل أن تفيدنا ـ أفادكم الله ـ أين هى الآن؟ هل بقى لكم توجيه أو مكابرة أو إصرار بأن نظام حكمك، وسياسة عهدك هى الأمثل؟

لاحول ولا قوة إلا بالله إننا فى زمان ضاعت فيه الحقائق بفعل الجهل والجهلاء !

ومسكين هذا **السودان** الذى حكمته أنت ويحكمه أمثالك ولكن السؤال هو إلى أين نحن مسوقون؟! ولتعلم أن حكمك لم يكن جنة فقد جُنّ منه الكثيرون! كما وأن نظام البشير ليس جَنة ـ **أيضاً** ـ لأن (إنما تعرف الشجرة من ثمرها) .

هذه أمثلة بسيطة لممارسات حكمك يا سيادة الرئيس الأوحد تعكس بجلاء

السياسة التى كنت تطبقها على رقاب الشعب السودانى الأعزل من كل سلاح إلا **سلاح الإيمان والوطنية**، والذى انفجر، وفجر ثورة شعبية، وانتفاضة جماهيرية عظيمة فى **أبريل عام ١٩٨٥**، فأصابتك وأصابت زمرتك النكسة، ولحق بكم العار والشنار.

(٢) الجانب الاقتصادى

أ- قف يا زمان، وارو الحقائق؛ لتدحض الادعاءات، ولتزهق الأباطيل، ولتؤكد حقيقة أن ليس كل ما يلمع ذهباً! .

ياسيادة الرئيس نحن لسنا مجموعة من الرجرجة، أو الجهلاء، أو قطعان الماشية نحن أبناء السودان من أجل السودان لا يسار، ولا يمين تاريخنا يشهد لنا لا علينا والأمر كذلك فقد تدهور الاقتصاد فى عهدكم غير الميمون، وأول خطيئة فعلت، وأول ضربة قاضية وجهها نظام حكمكم **للاقتصاد السودانى** هى: تأمين ومصادرة المؤسسات الخاصة والبنوك... الخ.

وإدخالها فيما يعرف بنظام **مؤسسات القطاع العام**.

فلقد وضح من تلك السياسة الخرقاء حجم الضرر الذى لحق بالسودان حيث تدنى مستوى الأداء.

وحدثت كل أنواع (العطالة) داخل تلك المؤسسات تقابلها شروط خدمة مجزية وامتيازات لاحصر لها، **عجز الجهاز الإدارى المركزى لمؤسسات القطاع العام** الذى أنشأتموه، وكوّنتموه خصيصاً لتولى مسئولية الإشراف على تلك المؤسسات بقطاعاتها: التجارى والزراعى والصناعى... الخ.

أقول: عجز ذلك الجهاز عن حل المشاكل المتزايدة، والمعقدة التى أفرزهاالتعامل بصيغة غير مقنعة بالشكل السليم مما انعكس خراباً على الاقتصاد السودانى، واتضح مع الأيام مدى حجم الخسائر المادية؛ مما أرهق الميزانية العامة للدولة.

رويداً رويداً ظهر للعيان الخطأ الفادح الذى **ظهر فى مصر عقب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م** دون النظر للواقع الاقتصادى المختلف تماماً عن التركيبة الاقتصادية فى مصر.

وها هى حكومة البشير تنظر فى قرار بيع مؤسسات القطاع العام إن لم تكن شرعت بالفعل فى تنفيذ هذه الخطوة، وكأننا يا عمرو لا رحنا ولا جينا.

ومسكين السودان بأسره الذى وقع فريسة لحكم جماعة: (ترى الأمور) من فوهة البندقية وتتصرف من وحى نصب كمين!

إن آثارنا تدل علينا . . . فانظروا إلى الآثار!

ب - مشروع الجزيرة - السكة الحديد:

حدث ولا حرج، وقل ما شئت أيها المواطن المغلوب على أمرك، فأنت ترزح تحت نير الإستبداد، وفرض القرار بقوة السلاح، **ونميرى الأمس الذى حكمك لفترة ١٦ عاما** عز عليه أن يكون بعيداً عن الحكم .

ها هو يزكى نفسه، ويزكى نظام حكمه ناسياً متناسياً الحقائق التى هى كالشمس فى رابعة النهار.

إن نسى فنحن لاننسى، وإن نسينا جميعا فالتاريخ لاينسى.

إنه صفحات مقروءة هى: عين الحقيقة، ولتعلم أننا لانفترى عليك أو نجنى أو نظلم فارس زمانه الأخ أب عاج!

تعلم يا سيادة الرئيس بأن أكبر مشروع إنتاجى زراعى فى **السودان**، وهو مشروع الجزيرة حيث - محصول القطن النقدى - الذى يدعم خزينة الدولة قد أصابه التدهور، ولمسته يد الخراب بفضل **مايو العظيمة وقائدها الملهم**؟

أقول هذا وهناك إثباتات كثيرة تدعم مقولتى.

وتسطيرى لهذه الحقيقة للدرجة التى تم تكوين هيئة خاصة لإعادة تأهيل مشروع الجزيرة. أكرر ياسيادة المشير إعادة تأهيل مشروع الجزيرة: ذلك المشروع الضخم العملاق تحول - بقدرة قادر- إلى مشروع معوق كالأطفال المعوقين الذين تدرس حالاتهم لعلاجهم، وتأهيلهم؛ لينخرطوا فى الحياة حدث، ولا حرج.

ماذا فى جعبتك للدفاع عن شخصكم العظيم، ونظام حكمكم وعهدكم الزاخر؟

بالطبع ليست المسئولية مسئوليتك وحدك ١٠٠ ٪، وإنما هى مسئولية شاركك فيها من زملاء كثيرون من عسكريين ومدنيين، وإن كنت تتحمل أنت فيها النصيب الأكبر؛ لأنك كنت الآمر الناهى للدّرجة التى تصل حد ضرب المسئولين!

ومهما يكن فإننا لانسمع دفاعا عن مايو إلا منك، وقد كانت الساحة تزخر بالكثيرين.

وما حال سكك حديد السودان بأحسن حالاً من مشروع الجزيرة ذلك الشريان الهـام الـذى يربط أجـزاء وطن مترامى الأطراف، ويشكل فى بعض المناطق وسيلة المواصلات الوحيدة.

السكة الحديد وما أدراك ما السكة الحديد؟ آلت إلى مصير مؤسف، وتشرد الالآف من موظفيها، وعمالها من أثر ما أصابها.

والمهم يا سيادة الرئيس أن نذكرك: بأنك حينما استوليت على السلطة كانت الأمور سياسية، أو اقتصادية، أو غيرها على ما يرام.

لاتقول: على أحسن حال، حتى لا نكذب لكن نقول: على ما يرام، وكانت هناك فرصة، ومجال للوصول إلى درجة أحسن حال، لو لم تستولِ أنت، ورفاقك على السلطة.

عتبى عليك

بـدليل! وحتى لـو كان هناك تخبط سياسى فإنه يظل وفق مظلة الشرعية، وبالتالى يمكن المعالجة.

وإلا فقـل لى بربـك ماذا كان نتـاج، ومحصلة تدبيركم، وتنفيذكم لانقلابكم العسكرى، والمضحك حقاً. تسميـة ما قمتم به ثورة؟!.

فهل يوافقنى الأخ جعفر نميرى بأن معنى: كلمة (ثورة) هى إحداث تغيير من الأسوأ إلى الأفضـل... فى مفهـومك لكلمة ثورة: الإطاحة بالأنظمة الشرعية واستعراض العضلات، وليكن بعد ذلك ما يكون تماما كما حدث فى **السودان**؟!.

جـ ـ الجنيه السودانى:

قل لى بربك ياسيادة المشير أليس الجنيه السودانى المغلوب على أمره قد تعرض لأول مرة فى حياته للتخفيف تجاوبا مع ضغوط البنك الدولى، وأنه منذ تلك اللحظة بدأت سلسلة تخفيض الجنيه المسكين، فتحول إلى مسلسل درامى؟

ودعنى أذكرك، وأنعش ذاكرتك بعض الشيء، وكلانا فى عمر متقدم بأن قيمة الجنيه السودانى كانت تساوى أكثر من ثلاث دولارات (بتساوى جنيها وربع جنيه مصرى).

حينما تسلمت الوضع، والحال كذلك، وتركته والدولار يساوى أربع جنيهات سودانية والجنيه المصرى يساوى اثنين جنيه سودانى.

ولا نريد أن نظلمك بسعر الجنيه السودانى هذه الأيام ولكن نحملك مسئولية بداية التدهور، وسير الأمور نحو الهاوية التى حيرت كل الحكومات من شرعية وغير شرعية.

وأرجو ان تقدم لنا قائمة بعدد حالات الاختلاسات التى تمت فى عهدكم لمواجهة غلو الحياة المعيشية، وصعوبتها، ولمواجهة شظف العيش رغم القانون، ورغم أجهزة الأمن، ورغم السلطان الطاغى.

هذه أمثلة عابرة نعيدها على أبصاركم، ومسامعكم، ونقبل دحض ما تقول بالحجة، وبالدليل ولدينا الكثير.

ومعذرة للصراحة فالسودان لازال بخير.

٣ ـ الجانب الاجتماعى:

الجانب الاجتماعى هو انعكاس للواقع السياسى والإقتصادى، ويكفى الاطلاع على ما جاء ذكره فى البندين الأول، والثانى، **السياسى، والاقتصادى، على التوالى لنعرف حقيقة الوضع الاجتماعى..**

اسمح لى أن أذكر هنا بأن المجتمع السودانى كان ثلاث طبقات حينما شرف سيادتكم دست الحكم طبقة شبه غنية، طبقة متوسطة، وطبقة فقيرة، وحينما أجبرتم على ترك السلطة صار المجتمع السودانى طبقتين.

(١) طبقة غنية جدا وهم: مجموعة مايو، ومن لف لفهم.
(٢) طبقة فقيرة جدا هى: مجموعة من أفراد الشعب الكادحين.

ونتيجة لذلك حدث المزيد من الاختلاط بين الرجال، والنساء، وحدث من التحلل، والتفسخ.

وساعد قرار عودة الموظفين، والموظفات، والعاملين، لأداء وتكملة أعمالهم فى فترة ما بعد الظهيرة على انتشار ظواهر غريبة على المجتمع السودانى فقلت سلطة الأسرة وعلى رأسها الأب، وسهل على المرأة إيجاد العذر والمبرر إن هى تغيبت أو تأخرت.

وكما صار لحم الجمال ظاهرة جديدة فى المجتمع السودانى الذى يذخر بالثروة الحيوانية من ضأن وأبقار وماعز صار أكل لحم (الجمال) البشرية ميسوراً كذلك بفعل التسيب وعدم الانضباط.

ومن تكون مسئولية هذه ياسيادة الرئيس؟

بل دعنى أسألك يا أخ نميرى عن عدد العقود، والتخصصات من أساتذة، ومهنيين، وموظفين، وعمالة مدربة، وغيرها هاجرت بأعداد كبيرة فى عهدكم الميمون هرباً من نظام بوليسى، وطلباً لِلقمة العيش الكريمة؟.

وهو أمر مزدوج فيه الجانب الاقتصادى والاجتماعى للدرجة التى جعلتك تقول فى إحدى زيارتك الرسمية لإحدى دول المهجر بأنك وجدت العديد من السودانيين ممن استغنى عنهم نظام حكمك تحت مبررات واهية مثل عدم الكفاءة، وعدم المواكبة.. الخ وجدتهم فى أعلى المناصب، وفى مواقع حساسة يجدون كل إشادة من المسئولين بتلك الدول.

وحدثنى بربك، واشفى غليلى فلقد كاد الادعاء يقتلنى؟

ولم تقف الهجرة عند حد الهجرة إلى خارج الوطن بل شملت هجرة الريف إلى العاصمة تاركين وراءاهم مزارعهم، ومواقع عملهم مما زاد العبء على سكان العاصمة، وهذه ثالث الأثافى.

لا أريد ياسيادة الرئيس أن أتحدث عن تدخل نظام حكمكم فى الجامعات، والكليات، والمعاهد، وتحجيم دور هيئات التدريس.

لا أريد يا سيادة الرئيس أن أتحدث عن تدخلكم فى القضاء الذى كنتم ترأسون مجلسه الأعلى.

لا أريد ياسيادة الرئيس أن أتحدث عن تدخل نظام حكمكم فى نشاطات، وزارة الداخلية، ووزارة الخارجية، وتهميش دورهما، وتحويل معظم أنشطتهما إلى الاتحاد الاشتراكى، وإلى جهاز الأمن.

لا أريد يا سيادة الرئيس أن أتحدث عن زج نظام حكمكم للوطنيين **الأشراف**، وعلى رأسهم الزعيم **إسماعيل الأزهرى** وكيف طاوعتكم نفسيكم.

أم أن هذا جزء من تمكين سلطانكم والإنفراد بحكم السودان وليتكم نجحتم؟!

ورحم الله **الأزهرى** الذى راح ضحية الغدر والخيانة.

لا أريد أن أتحدث عن الجيش فى عهدكم حينما مكنتم العناصر الموالية لنظام حكمكم، وأضعتم الكفاءات الوطنية

٤ ـ الجانب التعليمى:

السودان كان معروفا بقوة نظامه التعليمى فى كل المواد فجئتم إلى الحكم وطبقتم عن طريق وزيركم د. **محى الـدين صابـر** سلماً تعليمياً قاد التعليم فى السودان إلى ضعف، ووهن، ولأول مرة نعرف سلما يؤدى إلى الهبوط!

وانظر إلى أبنائنا، وبناتنا وقارن مستوى أى منهم بمستوى التعليم على غير أيام حكمك، وسيأتيك الجواب الشافى!

سيادة الرئيس بكل صدق أقول لك: لقد خبا بريق السودان أيام جلالتكم، وتلفت النـاس باحثـين عن القيادات التى عرفوها أمثال، **الازهرى**، **والمحجوب**، **وزروق**، **والشريف حسين** فلم يجد إلا نميرى.

فمنـذ تلك اللحظة بدأت هموم، ولا زالوا كل عام يرزلون.

آمل سيادة الرئيس نميرى أن يكون حديثك، وحوارك لصحيفة السياسة آخر حديث، ولتعش باقى عمرك فى كنف مصر لأنك أحببتها بقدر كبير، وبكيت على رئيسها الراحل **عبد الناصر** أكثر من أى باك.

فلك العزاء فيها، ولنا فى التركة المثقلة التى خلفتها بداية الطريق لعمل جاد والله وحده المستعان.

توقيع : طـه حسن طـه

حديث الحقد مردود إلى أهله

تابعت مثلما تابع الكثيرون من السودانيين الحوارات التى أجرتها صحيفة **السياسة** مع الرئيس **جعفر نميرى**.

أقول تابعت مثلما تابع الكثيرون، ولكن على غير نهج الأستاذ / طه حسن طه فى المتابعة؛ فرد الفعل لدى الأستاذ / طه جاء مقالاً مطولاً يعكس حقداً دفينا على شخص الرئيس **نميرى**، **وعلى ثورة مايو**.

والمتتبع لمقال الأستاذ طه على جريدة **السياسة** بتاريخ **١٤ ديسمبر** يتفهم نفسية الرجل وتركيبته السياسية وذلك من خلال المغالطات التى استند عليها فى هجومه على ثورة مايو، وعلى قائد هذه الثورة، كما تتضح من المقال صفات الذم التى تتأصل فى دواخل الكاتب.

وليـــس أدل علـى ذلك من إسقاطه المتعمد للإنجازات العظيمة، والتى تقف شاهدا على جدية مايو.

فما تحقق خلال ستة عشر عاماً يا أخ طه هدمته الطائفية الحزبية فى ثلاث سنوات.

وقبل أن أتناول مقالك بالرد أود: أن تعرف أننى من جيل مايو المعافى من دنس الطائفية الحزبية التى ما عرفنا لها من إنجاز إلا الشقاق فى سبيل الذات، والكثير من الكلام...، والكثير من المفاسد، والمزالق.

فما أطلت فى عهودها بارقة أمل وما عرفنا منها إلا هيمنة البيتين الكبيرين، ولجاجة القول، والسفسطة التى تملأ أركان ما يسمى **بالجمعية التأسيسية** التى لم تؤسس سطراً واحـداً لدستـور السـودان خلال سنوات وجودها. فأنا من ذلك الجيل الذى عرف المشـاركة فى السلطة من خلال التنظيمات الجماهيرية، والفئوية مما جعل السلطة فى السودان حقاً مشاعاً للجميع، وفى كل بقعة من بقاع السودان..

فالتنظيم السياسى فى مايو كان مدخلا لجميع أهل السودان للمشاركة فى السلطة..

ولتسأل نفسك.
أين حزب الأمة فى الشرق؟
وأين الاتحاد الديمقراطى فى الغرب؟

بل أين الحزبان الكبيران فى الجنوب؟

إن السودان فى وضع هذه الطائفة الحزبية إنما هو ضيعة كبيرة ثمارها للسيدين، وأبناء السيدين، وأحفاد السيدين، ومن تمسح برداء السيدين والتابعين، ومن يرجو المنفعة.

أقول الحزبين الكبيرين لأن أس البلاء منهما، وتردّى الأمور فى الوطن من صنيعهما..

فلا تتحدث عن الموجة التى تجتاح العالم!

فالذى يحدث فى العالم لايمكن أن يكون دافعا للحزبية السودانية المشوهة لكى تطل برأسها فليس ما ينطبق على بعض الدول يمكن أن ينطبق على حال السودان بالضرورة.. فالسودان يختلف اختلافا جوهريا عن هذه الدول التى تحاول أن تنتهج خطا سياسيا لايتواءم وتركيبتها الوطنية، تعانى اليوم من التمزق، والشتات، والانقسام.

والأمثلة كثيرة ومتعددة. فالسودان أيها الأستاذ الأديب يتكون من قبائل شتى، وعديدة.

والسودان لسانه عربى، وغير عربى.
والسودان دمه عربى وزنجى.
والسودان لاينفرد بثقافة واحدة تؤطر المجتمع بأطر متوافقة..

والسـودان يعـانى من أوصاب الطائفية والأمراض العقائدية، والتناحر القبلى، والتغابن العنصرى..

وكل هذه العوامل تجعل من العسير - بل من المستحيل بناء السودان بواسطة الأحزاب التقليدية المعروفة فالنهج الوطنى الشامل هو: المخرج.، والتوجيه القومى هو: السبيل الأوحد الذى يقود السودان إلى استشراق الخلاص.

إن الديمقراطية المفترى عليها لايمكن أن تقوم على ركائز واهية..، ولا يمكن أن تنشأ بأحزاب تعتمد على جهل البسطاء، وإرهاب المعارضين، أو عقائدية تآكلت قواعدها فى المنبع لكل هذا، وذاك كانت **مايو** وستبقى هى الأنموذج الحقيقى للتوجه القومى الشامل. ودعنى بعد ذلك أتناول نقاطك التى اتخذتها سبيلاً للكيد **لمايو وقائد**

مايو حتى تتيقن من إجحافك المدفون بالحقد، والغرض .

والكتابة أمانة، وشرف ومسئولية ولكن الذى ورد فى مقالك لم يدنُ ولو بالتلميح من هذه المقومات.

أولاً : لقد تناولت الجانب السياسى فى محاولة يائسة وساقطة إذ أن وجه الشبه بين **مايو نميرى - ويونيو البشير** لايوجد إلا فى عقول اعتادت أن تلوى عنق الحقيقة . .

فإن كنت لاتعلم فاسال أهل السودان من غير أفراد زمرتك . .

اسأل السودانيين عن وجه المقارنة الذى لايوجد إلا فى خيال الأدعياء.

فالفارق بين **ثورة مايو** ونظام **البشير** إنما هو: بون شاسع، وواسع، ولن نجهد ذاكرتك كثيراً إذ أن الأمثلة جلية وواضحة : -

فبينما رفض نميرى كل محاولات الاحتواء من اليسار، واليمين رفضاً وصل حد المواجهة نجد: أن نظام البشير غارق فى هيمنة الجبهة الإسلامية . .

ألم يواجه نميرى ومن خلفه الشعب السودانى محاولات الحزب الشيوعى لاحتواء الثورة، ولما فشل أهل اليسار لجأوا لقوة السلاح . .

ولكن إرادة الشعب كانت أقوى.

ولا أظنك تنسى يوم العودة العظيم . . ألم يكن استفتاء شعبيا فاق مواكب التأييد التى خرجت بعد اندلاع الثورة تأييداً لنميرى، ولمايو، ورفضاً لحكام ما قبل مايو. .

هل نسيت أيها الأستاذ الصحفى الإعلامى صاحب القلم، وحامل الأمانة؟

كما أن نميرى رفض احتواء الإسلاميين، وقد كان يمد حبال الصبر وهم مخططون للانتفاضة على السلطة.

ولما أحسَّ نميرى بمخاطر التدبير عمد إلى اعتقال الجماعات الإسلامية . .

هل نسيت هذه أيضاً وهى : حادثة لم يتجاوز تاريخها بضع سنين؟! وكل هذه المصادمات التى واجهتها ثورة مايو تؤكد تمسك القائد بالخط القومى للثورة.

فهل هناك مقارنة بين ثورة قومية وانقلاب حزبى؟

أما إزهاق الأرواح الذى تتحدث عنه فإن حديثك لا يمكن أن يمحو الحقائق، وقولك المبتور لايمكن أن يقف شاهداً على أحداث يعرفها كل أبناء السودان بل

ويعرفون دقائقها، وتفاصيلها فلماذا التزييف، والتحريف؟ .

أم أنك تود أن تؤكد الحقيقة القائلة : بأنّ من شبَّ على شيء شابَ عليه

فأحداث الجزيرة آبا، وود نوباوى، لم يبادر بها نميرى بل كان نميرى **يقف موقف** المدافع عن الثورة الشعبية الوليدة لقد كدسوا السلاح فى الجزيرة آبا، **والمناطق المجاورة لها بهدف منع نميرى من زيارة منطقة النيل الأبيض.**

وكان الصدام المعروف بعد أن بعثت السلطة الشعبية الإنذار تلو الإنذار حسب ما ورد فى قانون الأمن الداخلى . .

كما أن أحداث ود نوباوى هى جزء من ذات الأحداث التى أرادوا بها أن يشغلوا السلطة فى العاصمة عما يجرى فى الجزيرة آبا.

وأرسلوا بعض الأنصار، والعملاء من الإخوان ليتحرشوا بقوات الجيش فتعرض بعض أنصارهم لعربات تحمل بعض الطلبة من الكلية الحربية، وبعض الجنود الذاهبين لأعمالهم اليومية عن طريق حى **(ود نوباوى)** وقتلوا من قتلوا من الطلاب الحربيين، والجنود من غير أن يكونوا متوقعين لهذا الكمين اللئيم فى مثل ذاك الوقت من الصباح الباكر.

كانت كارثة حزينة فقد السودان فيها عددا من شبابه الأكفاء . ، وتكشف للسلطة من خلال هذا الحادث، والغدر الجائر أن منطقة **(ود نوباوى) تزخر بالعديد من من أنصار الإمام وبعض الإخوان المدججين بالسلاح . .**

وعندها كان لزاماً التعامل معهم بذات الأسلوب مما ساعد سريعا فى إعادة الأمن، والاستقرار.

أما انقلاب **هاشم العطا** وكما هو معروف بأنه انقلاب دبره الحزب الشيوعى السودانى، وقد سبق أن أوردت فيما سبق أن **القوات المسلحة السودانية وكافة أبناء شعب السودان** وقفوا تلك الوقفة التاريخية المعروفة بالعودة العظيمة وكل هذه الأحداث الجلية الواضحة والمعروفة لاتحتاج كبير عناء لإثباتها، ولكنها فى المقابل تحتاج إلى تلفيق، وكذب وتزوير لطمس معالمها . . ، ورغم ذلك فإنها سوف تبقى فى ذاكرة التاريخ ولو كره الحاقدون.

واسمح لى أن أعرج عن افترائك الذى ادعيت به مسئولية نميرى عن الذى يحدث الآن فى السودان.

وذلك باتهام نميرى بتقوية شوكة الجبهة الإسلامية: فإنك أيها الفاضل إنما تدين **شخصك** قبل أن توجه الاتهام لنميرى..

فالمعروف أن **الاتجاه الإسلامى** شارك فى سلطة **مايو بعد المصالحة الوطنية عام ١٩٧٧م. ومشاركة الإتجاه الإسلامى** وبغض النظر عن نوايا الإسلاميين كانت انعكاسا لسعى **ثورة مايو وقائدها نميرى** لوضع صيغة قومية للحكم، وذلك من خلال مشاركة كافة الأحزاب فى العمل الوطنى الجاد.

لقد كانت مايو صادقة فى دعوتها، ولكن الأحزاب التى شاركت كان فى نفس كل منهم مخطط مرسوم لاحتواء الثورة.

ألم تسمع لأحمد الميرغنى عندما أدلى بشهادته أمام المحكمة التى انعقدت لمحاكمة الثوار.. أبو القاسم، وزين العابدين، وخالد، ومأمون.

ألم تسمع إليه وهو يقول: إنهم شاركوا فى سلطة مايو لتقويضها من الداخل؟

ورغم سذاجة القول إلا إنه يؤكد: سوء النوايا من جانب الأحزاب، وصدق التوجه من جانب مايو وقائدها فقد أرادت مايو جمع الشمل، وتكثيف الجهود الوطنية، وتناسى النظرة الحزبية الضيقة وأرادت الأحزاب انقضاضاً على السلطة من الداخل، وليذهب التوجيه القومى بعد ذلك إلى الجحيم.

ألم أقل لك قولك مردود عليك؟

أعد قرأءة هذه الحقائق مرة أخرى، وحكِّم العقل، والضمير، وحدِّث نفسك حديث الذى يخشى الله، واستغفر الله من دواخلك.

أما فيما يتعلق بقولك نحو اتفاقية أديس بابا: فهو قول جهول لايصدر إلا من كاره، حاقد على من أنجز واحداً من أعظم الإنجازات، فلا أنت، ولا غيرك يمكن أن يسفه جهد نميرى لتحقيق هذا الإنجاز العظيم..

وخذها نصيحة منى، ولاتردد مثل هذا الحديث الساذج المضحك.

أما قضية الفلاشا التى تحدثت عنها، وتحدث عنها الكثيرون..

هل هى تتعدى قضايا اللاجئين؟

ألم تكن تلك المجموعات قد لجأت لشرق السودان باختيارها؟ . . ألم تسمح قوانين الأمم المتحدة بمغادرة السودان إلى أى جهة أرادوا؟ .

هل كان التهجير إلى إسرائيل مباشرة أم إلى دول أوربا؟

هل الأسبقية تمنح للاهتمام لأمن السودان، واستقراره أم أمن الدول الأخرى؟

هذه قضية أراد بها أعداء مايو وضع نميرى فى موضع المتواطىء مع الصهيونية فحسب . .

ولتعلم - إن لم تكن تعلم - بأن : **تهجير الفلاشا** لم يتوقف عبر السودان حتى بعد انتكاسة أبريل ١٩٨٥م .

وارجع إلى مضابط وزارة الخارجية وبالتحديد قسم الأجانب . .

ارجع إلى هذه المضابط لتعرف الحقيقة، ثم عليك أن تتحدث بعد ذلك . .

هذا - ولزيادة معلوماتك - فإن هجرة **اليهود** لم تتوقف أبداً من كل دول العالم إلى **إسرائيل** بما فيهم **الفلاشا** الذين صار موضوعهم يعامل رأساً مع السلطات **الأثيوبية** ويرحلون من داخلها رأساً إلى إسرائيل . .

لم نر قلمك قال شيئا عن هذا الموضوع الخطير- موضوع : **تهجير اليهود إلى إسرائيل** من روسيا مثلاً بعشرات الآلاف، وسيبلغ عددهم أكثر من سكان إسرائيل بنهاية تاريخ الاتفاق الذى عقد بين : الاتحاد السوفيتى، والطرف الآخر المهتم بالأمر

إن ربطك بين قضية الفلاشا، وحديث نميرى عن القضية الفلسطينية. إنما هو ربط جاهل، وظالم، وحاقد . . ارجع بذاكرتك إلى عام ١٩٧٠م من الذى تصدى لنيران المدافع فى الأردن لينقذ قيادة **منظمة التحرير الفلسطينية** من هلاك مؤكد؟

من الذى تحدىً كل هذه الأخطار فى سبيل القضية الفلسطينية؟ .

وبعد ذلك بسنوات، وسنوات .

من الذى فتح أبواب السودان ليستقبل أفواج المقاتلين الفلسطينيين الذين حاصرتهم المخاطر فى معسكراتهم فى لبنان؟ .

إن الذى قدم كل ذلك **للقضية الفلسطينية** عن قناعة وإيمان يحق له أن يتحدث عن القضية الفلسطينية، وليصمت الآخرون الذين يدعون مساندة **القضية**

الفلسطينية بكلمات المجاملة، وعند المناسبات دون الفعل المؤثر.

ألم أقل لك حديثك كله افتراء؟ لقد تواترت الادعاءات منك أيها الأستاذ فإن أردت بطولات فجعفر نميرى قد تلقى من حديث الإفك، والأباطيل ما يكفى.. وبقى هو، وانزوى أهل الادعاء. أما إن كنت مذعوراً من حديث الرجل فى الصحف، وسطوع نجمه مرة أخرى. فهذا شأنك إذ أن الجبن لايسكن إلا النفوس الآثمة.

ثانيا: فى الجانب الاقتصادى:

وحيث المجال لايقبل الجمل الإنشائية فحسب، فاننى سأعمد لاختصار القول على الحقائق، والإنجازات..

تحدثت أيها الكاتب الفاضل بالعمد عن الحقائق.. تحدثت عن جوانب تدعم ما تدعيه وأغفلت جانب الحق، والذى يعرفه كل العالم، وليس أهل السودان فقط.. تحدثت عن كل شىء وتجاهلت أعظم المشاريع الإنتاجية التى قامت فى فترة مايو. هل نسيت أو تناسيت؟ إنها الأخيرة بالقطع.. ورغم ذلك أعيد عليك ما تستحى من سماعه، وسأوجز القول وأنت ستفهم.

مشاريع السكر وأولها كنانة مفخرة السودان والعالم العربى والقارة الإفريقية وباقيها مشروع سكر سنار ومشروع **عسلاية والتأهيل** الكبير الذى حصل لمشروع **القرية والجنيد**.

مشروع الرهد العملاق، والذى شهد عمل أول خزان على نهر الرهد بأيدى سودانية من التصميم، حتى التنفيذ.

مشروع السوكى الذى تعثر إنجازه منذ الاستقلال لاختلاف الأحزاب الطائفية فأنجزته ثورة مايو فى ٤٥ يوماً فكان مفخرة للعمالة السودانية من: مهندسين، وفنيين وعمال مهرة.

التنقيب عن البترول والاستعداد لاستثماره تجارياً.

خط الأنابيب.

مشروع جونقلى العظيم الذى أوقف التمردُ العملَ فيه.

والجدير بالذكر أن المشاريع الثلاثة الأخيرة كانت أكبر مشاريع تنمية فى العالم

العربى والعالم الإفريقى عندما سُرِقَت السلطة من ثورة مايو.

عشرات بل مئات المصانع الإنتاجية فى كافة أنحاء السودان، وهنا لاداعى لذكر الأسماء بالتفصيل، ويكفى أنك تعرف.

الطرق: وعلى رأسها طريق بور سودان الخرطوم، والطرق الأخرى فى كافة الأقاليم، والمطارات. غير الطرق الداخلية فى العاصمة، ومدن الأقاليم.

أسطول النقل البحرى والنقل النهرى.

المحطات الأرضية للأقمار الصناعية ومحطات المايكروويف لتسهيل الاتصالات مع العالم.

والكثير الكثير فى مجال: الخدمات، والصحة، والتعليم مما يستحيل سرده مفصلاً فى هذا المجال.

هل سمعت بها أيها الأستاذ أم أن الحقد قد أصم أذنيك عن سماع هذه الحقائق التى لاتجد منك إلا التجاهل، والتغاضى والتناسى. ؟

ثم تحدثت حديثاً مضحكاً عن إعادة تأهيل **مشروع الجزيرة**.. بالقطع أنك تعلم متى أنشىء مشروع الجزيرة وكم من السنين قد مرت عليه منذ إنشائه..

فإعادة التأهيل لاتعنى المفهوم الذى سطرته.. فالذى ذكرته يؤكد سطحية تناولك للقضايا.. إذ أن إعادة تأهيل المشروع أيها الأستاذ العالم ببواطن الأمور تعنى: تحديث أدوات وآليات المشروع مع تحديث كافة وسائل التشغيل بما يتواكب. والتقدم العصرى للآلة.

هل فهمت أيها الاستاذ العالم أم أزيدك شرحاً؟

أم أنك تريد للمشروع أن يعمل بذات الآليات التى خلفها الاستعمار، وفشلت حكومات الأحزاب فى تحديثها.. ؟

أما كلامك عن السكة الحديد: فهو لايخرج أيضاً عن دائرة الحقد التى تدور فيها وأنت مغمض العينين.. فالسكة الحديد أيها الاستاذ يمكن أن تكون كما يتمناها كل سودانى مرفقاً عظيماً يؤدى دوره العظيم الذى أنشىء من أجله..، ولكنك لاتدرى بالطبع **أن مايو وبقيادة نميرى قد فاوضت البنك الدولى بشأن تحديث سكك حديد**

السـودان سعيا للارتقـاء بالأداء، ومن ثم بنـوعية الخدمة التى تقدمها . . ، ولكن، وعندما استشعرت مايو إجحاف شروط التحديث صرفت النظر عن البنك الدولى فى هذا الشأن، ورتبت الأمر مع بعض الدول الشقيقة، وبدأت بالفعل المفاوضات الأولية ثم كانت نكسة أبريل . . التوقف، والتردى، ثم الانهيار الكامل . .

هل تعلم: ماذا اشترط البنك الدولى لتحديث السكة الحديد؟

اشترط الاستغناء عن ثلثى العمال فى السكة الحديد ولكن مايو، وقائدها رفضوا هذا الشرط . .

والآن عرفت: لماذا تأخر مشروع السكة الحديد؟

لقد كانت **أعوام مايو** (هى سنين) البذل، والجهد، والعمل الجاد حقاً، وحقيقة، ولاينكر ذلك إلا أهل الغرض.

وقبل أن أنتقل بالحديث عن **الجنيه السودانى** أود أن أعيد بعضاً من قولك؛ لأؤكد لك ما سبق وأن قلته بشأن افتراءاتك، وادعاءاتك الباطلة . . ولن أستند فى التأكيد إلا على قولك فقد أوردت فى مقالك النص الآتى مخاطباً **الرئيس نميرى**:-

(والمهم - ياسيادة «الريس» - أن نذكرك: بأنك حينمااستوليت على السلطة كانت كل الأمـور سياسية،أو اقتصـادية، أو غيرها على ما يرام لانقول أحسن حال حتى لانكذب لكن نقول على مايرام وكانت هناك فرصة، ومجال للوصول إلى درجة «أحسن حال» لو لم تستـولِ أنت، ورفـاقك على السلطة بليل . . وحتى لو كان هناك تخبط سياسى فإنه يظل وفق مظلة الشرعية، وبالتالى يمكن المعالجة) إنتهى.

أدعوك: لقراءة حديثك مرة أخرى، كما أدعوك لتتمعن فى معانيه . . إنها تحمل ما تحمل من معانى التردد، والكذب، والتلفيق . .

أعد قراءتها مرة أخرى: «كانت كل الأمور . . على مايرام . » ثم تكتشف أنك قلت بهتاناً، وزوراً فعدلت فى قولك . . « لانقول على أحسن حال» حتى لانكذب . . والله إنه الكذب بعينه . .

أى أمور تلك التى كانت على ما يرام والذمم تباع، وتشترى؟

أى أمور تلك التى كانت على ما يرام ونواب الجمعية التأسيسية تباع أصواتهم لمن يدفع أكثر؟

أى أمور تلك التى كانت على مايرام، والتردى السياسى قد وصل إلى أسوأ درجاته؟

وإن كانت الأمـــور على مايرام لماذا خرجت جموع المـلايين من أبنـاء الشعب السودانى تأييداً لمفجرى ثورة **الخامس، والعشرين من مايو؟!**

ولو كانت الأمور على مايرام لماذا تحركت أصلاً طلائع الثورة لتنتزع حقوق الشعب من الأيدى التى أهدرت كرامة الوطن والمواطن؟!

ثم تواصل قولك ـ أيها الأستاذ بل وتقرّ وتعترف فى شىء من الحياء ـ حتى ولو كان هناك تخبط سياسى!

ألا توافقنى بأن (**حتى**) هذه قد دخلت هنا بالذات لتأخذ مضمون الإقرار بوجود التخبط؟ ويتأكد ذلك عند استكمال الجملة، وحتى لو كان هناك تخبط سياسى؛ فإنه يظل وفق مظلة شرعية... أى مظلة شرعية هذه التى تحمى العبث..؟

ملعـونـة هذه المـظلة الشرعية التى يستـظل بها كل عابث بمصـائـر الناس، وبمستقبل الوطن.. ملعونة هذه المظلة الشرعية التى تحمى الفساد، والمفسدين.. ملعونة هذه المظلة الشرعية التى اغتالت الوطن، والمواطنين.

ثم تنـاولت بعد ذلك أيها الأستاذ العالم: **موضوع تدنى قيمة الجنيه السودانى** ذاكراً: أن قيمته كانت تساوى ثلاثة دولارات قبل مايو، نعم هذا صحيح، واستمر الحال حتى عام ١٩٧٣م، ثم كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وارتفع سعر البترول عالمياً. وكان لهذا الارتفاع أثره حتى فى أقوى دول العالم اقتصادياً، بل حتى للبلاد المنتجة للنفط...، وهذه حقيقة لايمكن نكرانها.. وأنت تعلم أن السودان قطر فقير، ورغم ذلـك.. ورغم التنمية الـزراعية والصنـاعية التى كانت تنتظم السودان، فقد ظل انخفاض الجنيه معقولاً ومقبولاً..

وبعد عام ١٩٧٩م وبعد انتشار محترفى السرقة، ودهاقنتها من أرباب الطائفية فى المجال التجارى بعد المصالحة الوطنية بدأت تظهر أساليبهم فى اقتناء العملة وتسويقها فى السوق السوداء إلى جانب البنوك الإسلامية التى استغلت ثقة السلطة فعاثت فى الاقتصـاد الـوطنى فسـاداً، وإفسـاداً.. فالأمـر فى مجمله راجع فى النهاية إلى هذا الأخـطبوط الحزبى اللعين الذى لايعرف مصلحة للوطن، والمواطنين.. ودليلى على

ذلك نفس أسلوبك . . وأسألك أيضاً ذات السؤال مع اختلاف التوقيت .

كم كانت قيمة الجنيه السوداني عام ١٩٨٥م . وكم أصبحت قيمته عام ١٩٨٩م . أي خلال أربعة أعوام فقط؟ .

ثم تساءلت أنت عن حالات الاختلاس التي تمت في مايو . وأرد عليك بإثبات حالات الشروع في السرقة التي تمت تحت مظلة الشرعية من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٨٩م .

ألم يطالب الصادق المهدي، بل تسلم ثلاثين مليون جنيه باسم التعويض عن أراضي جده وهي في الأصل أراضي المواطن المغلوب على أمره؟ .

ألم يطالب عز الدين علي عامر مثلما طالب الصادق المهدي ـ من داخل الجمعية التأسيسية ـ بتعويض عن ممتلكاته الشخصية بالملايين، وتسلم جزء منها؟

ألم يطالب صلاح عبد السلام الخليفة : بمساحة الأرض المقام عليها سجن أم درمان باعتبارها أرض أجداده هذا زيادة على التوكيلات التي عملها مع أكثر من أربعين دولة مباشرة بعد أن عين وزيراً؟ .

ألم يستول آل الميرغني على العديد من التوكيلات التجارية، وأقلها قيمة توكيل سجاير كليوباترا؟

ألم يستول تجار حزب الأمة على التوكيلات التجارية بالنزع من أصحابها الأصليين وتجار الجبهة الإسلامية عبر بنوكهم؟ .

ألم تعلم عن قطن السودان الذي جمع بأبخس الأثمان ثم بيعه مرة أخرى بسعره الحقيقي فكان ربحاً فاحشاً راح كله إلى حزب الأمة وجيوب زعمائه؟ .

ألم تعلم أن حزب الأمة وحزب الوطني الاتحادي والجبهة الإسلامية كانوا يتسابقون على احتلال مقاعد الوزارات الاقتصادية لغرض السرقة، والنهب القانوني؟ .

انظر إلى **عمر نور الدائم** ووزارة الماليه ووزارة الإسكان وتاجر الأراضي، **لمبارك الفاضل** من وزارة الصناعة إلى وزارة التجارة، ثم انظر الى رجال الجبهة الإسلامية الذين صاروا في يوم وليلة تجار استيراد وصادر بفضل **البنوك الإسلامية** .

لانريد أن نطيل على القراء، يكفي أن أنبههم وألفت نظرهم إلى الملياردير **عثمان**

عبد الله وزير الدفاع، والملياردير عثمان مضوى، والملياردير الطيب النص، ويس عمر الإمام، وضرار، وخلافهم.

كل هذه الأباطيل، و المفاسد قد حدثت تحت مظلة الشرعية، ولا أود الخوض فى **السرقات المخجلة لموات الإغاثة** فهذا أمر يشين الوطن.

أما ثورة مايو فيكفيها فخراً أنها، وخلال ستة عشر عاماً قد فشلت فى إنجاز مثل هذه المفاسد، وذلك من خلال فشل سلطة الانتكاسة فى إثبات التهم الملفقة لعدد من رموز مايو والذين لايتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ثم رغم ذلك تمت الإدانة المسرحية، وبعد زمن وجيز تدخلت إدارة أعدل الحاكمين، وتم إطلاق سراح الذين سجنوا ظلما وبهتاناً.

ألا يكفى هذا دليلا عن الفارق العظيم بين ثورة مايو، وحكومات الطائفية؟.

أتجرؤ بعد ذلك أن تلوم قائد مايو عندما أعطى الانتكاسة أسمها الحقيقى؟ إنها ياأستاذ انتكاسة هوت بالسودان، وشعبه إلى الدرك السحيق، وسل الذين يعايشون مرارة الحياة فى السودان ليس الآن فقط بل قبل **نظام البشير**.

وفى الجانب الاجتماعى: تحدثت حديثاً يفتقر إلى التأسيس، والعضد.. حديثاً لايصلح منطقاً للإقناع.. تحدثت عن عددية الطبقات، وأنت تعلم، وغيرك يعلم: أن المستوى المعيشى للأسرة قد ارتقع فى مايو حتى أن الذى لم يكن ميسوراً لغالبية السكان صار مملوكاً لهم فى مايو.

فاسأل نفسك: كم من سكان السودان كانت تصل إليهم المواد الغذائية مثل: السكر والشاى، والقمح فى أماكنهم النائية فى السودان القارة قبل مايو؟

نصف سكان السودان كان لايعرف شيئا عنها إلا إذا صدف وزار منهم مدينة، أو منطقة حضارية..

ثم أسأل نفسك: كم عدد الذين كانوا يمتلكون العربات، والثلاجات، ووسائل الترفيه فى منازلهم؟

وكيف أصبحت هذه الأشياء ميسورة لأضعاف هذا العدد؟

لقد كان متوسط عمر الفرد قبل مايو ٤٧ عاماً، فارتفع فى ظرف خمسة أعوام إلى

٥٢ عاماً، ثم ارتفع إلى ٦٠ ولكن للأسف انخفض مرة أخرى إلى مادون ذلك بكثير بعد مايو أى بعد الانتكاسة.

هذا هو المقياس الحقيقى الذى تقاس به حالات المجتمع أيها الأستاذ الكبير. فإن كنت لاتعلم، وتود التأكد فارجع إلى وثائق هيئة الصحة العالمية..

أما حديثك عن العمل المسائى فأيضاً مردود، وبالوقائع.. إذ أن **ثورة مايو** عندما أقرت: هذا الأسلوب فى العمل لم يكن قادتها يفكرون بأسلوبك الغريب الذى دمغت وقذفت به نساء السودان المصونات بالعفة والشرف..

فالعمل المسائى ليس سبيلا للعبث إلا لمن شب أصلاً على العبث..

والعابثة لاتحتاج إلى تعليل خروجها..

وأنا أسألك - بدورى - لماذا ذكرت هذه النقطة بالذات، **ولم تتعرض إلى ما فعلته** مايو لمحاربة الرذيلة؟

ألا تعلم أن سلطة مايو قد عملت على إغلاق **منازل الدعارة** فى كل السودان التى كانت وصمة فى جبين الوطن سكتت على بقائها **الحكومات قبل مايو!!؟؟**

ألا يكفى هذا دليلاً على جدية مايو فى محاربة الرذيلة؟ أم أنك وزمرتك ناقمون على هذا الإجراء..؟

لقد حرصت على الرد على افترائك بالوقائع لأدلِّل على نهجك المدفوع بالحقد والكراهية. ❊

❊ ❊ ❊

❊ نشر هذا الرد فى جريدة السياسة الكويتية

تحالف الشيوعيين
والطائفية والجبهة الإسلامية
أطفأ ما تبقى من بريق السودان

اطلعت في الأيام القلية الماضية على مقال بصحيفة **السياسة وقد نشر ذلك** المقال بعنـوان **(النمـيرى أطفأ بريق السـودان)** وقـد احتـوى ذلـك المقال على كمية من المغالطات، والتي تكشف عن توجه صاحب المقال والذي حاول جزافاً أن يمحو من ذاكـرة الشعب السـوداني فترة حكم النمـيرى، والتي مضت بعد أن تركت خلفها إنجازات واضحة تلك الإنجازات التي تم تخريبها، وتدميرها على أيدى القوات الحزبية البغيضة، والتي وصلت للسلطة بعد انقلاب الجبهة الإسلامية والمشير سوار الذهب.

وقد بدأ صاحب المقال بالهجوم على شخص **الأستاذ محمد مصطفى** وهو الصحفي الذي أجرى الحوار مع **الرئيس نميرى** وذلك بصورة غير لائقة، وغير كريمة، وفيها انتهاك واضح لرسالة الصحفي، وهو أمر تعودنا عليه من الطائفة السياسية وأذنابها خلال فترة حكمهم.

لاحظ عبارة **(الأستاذ محمد مصطفى)** أراد عن سبق إصرار وترصد أن نعيش حالة الغثيان، والتيه مع إجابات **النميرى**.

انظروا للكاتب الطائفي إنه يجاهر، وينكر على الصحفي حقه في ممارسة عمله تماماً كما يفعل سادته الذين قتلوا السودان، وتحالفوا مع الجبهة الإسلامية، وسلموها مقاليد الأمور.

وكيف ننسى تهجم عمر نور الدائم، ومبارك الفاضل. على الصحافة، والصحفيين؟!

وكيف ننسى الاغتيال، والتشريد وإغلاق الصحف، ووضع الحراسات عليها في عز الظهر؟ الذى قالوا بأنه قد كان ديمقراطياً، والحقيقة فقد أدهشني كاتب المقال والذى حاول رسم خط سير للزميل **الصحفي محمد مصطفى**. **يسير عليه**، وتحديد نوع الحوارات التي يجريها.

ولعل ذلك الأخ الكريم قد نسى أنه يتعامل مع **مؤسسة صحفية محترمة** أتاحت له الفرصة في الرد.. على الرغم من نواياه المسبقة: تلك النوايا التي ترجمها بملاحظته التي كشفت عن **فيروس الديكتاتورية** المدنية المبطنة بالادعاء الزائف، والتمسح البـاطـل بكلمـة الـديمقراطية، والتي أصبحت جواز مرور لكل فوضوى، وقاتل، وسارق، ومتسلط.

ولذلك كان الانهيار سريعاً، وكان العبث بمشاعر الجماهير واضحاً، وكان الاسترخاء معلماً، والاستكانة منهجاً للتركيبة الحزبية التى تسلطت على السودان بعد انقلاب الجبهة الإسلامية، والمشير سوار الذهب، وكان حصادنا المر على يد البشر ولا يوجد أى تفسير لما قاله كاتب المقال فى حق **الزميل محمد مصطفى** اللهم إلا إذا اعتقد ذلك الرجل بأن مادته المكتوبة تنشر فى أروقة الطائفية الحزبية السياسية، وتكاياها.

ومن حقنا أن نسأل ذلك الرجل: من أنت؟.. ومن تكون؟.. وأى فكر أو مذهب تعتنق، ويعطيك الحق فى رسم سياسة الصحف وتوجهاتها؟.

وبعد ذلك تتحدثون عن ديكتاتورية **النميرى** والتى لم تكن غير الممارسة الحقيقية لسيادة القانون حماية للمجتمع، والشعب من همجية، وتسلط أذناب الطائفية، وإخوانهم العقائدين، ويتبقى ملف المعارضة الحزبية لنميرى معلماً أسود وهو أمر لاتكفى فيه المجلدات، ولكننى سأكتفى بالتلويح فقط بملامحه الرئيسية، والتى وصلت حد التآمر على الأمن القومى السودانى، وتزويد المتمردين بالصواريخ الثقيلة لضرب آبار البترول، **وحفارات قناة جونقلى** ولن ينسى السودانيون استباحة الخرطوم وقتل الأبرياء وترويع المواطنين خلال الغزو الهمجى للخرطوم فى يوليو عام ١٩٧٦ ويتبقى الكثير المثير الخطير عن ملفات الخيانة وسأقوم بنشرها تباعاً حتى تستبين الأمور إذا كانت منطلقاتك قومية، وسودانية، أو تتحمل أمام الله، والتاريخ أوزار الحزبية إذا كنت حزبياً.

وفى الوقت الذى تطالب فيه **مؤسسة صحفية** بالحجر على رجل حكم السودان ستة عشر عاماً..

هل نسيت أن تلك الفترة قد شارك فيها من البداية وحتى النهاية ومن أعلى السلّم إلى أدناه جيش جرار من قيادات الأحزاب التى حكمت السودان لاحقا؟.

وعلى سبيل المثال **الصادق المهدى** وكل قيادات حزبه، والسيد **محمد عثمان الميرغنى**، ومعظم قيادات حزبه، **وحسن الترابى** بكل حزبه هذا غير الوزراء، والوكلاء، والمحافظين، وحكام الأقاليم.

ولعلك ياصاحبى تدرك ذلك الأمر جيداً، وبهذا المنظور فأنا لاأستبعد أن يكون شخصك أحد الضالعين فى المشاركة فى **العهد المايوى**، وعلى سبيل المثال فأحد كبار

المسئولين فى التجمع الحزبى الحالى، وهو أكثر الناس كراهية وليس اختلافاً مع **مايو** اكتشفت - وبالصدفة - أنه قد كان رئيس فرع الاتحاد الاشتراكى بوزارة الخارجية، ولكن ماذا نفعل أمام الأزمة الأخلاقية التى قتلت السودان، والسودانيين. ؟

وقد لاحظت: أن كاتب ذلك المقال قد حاول: أن يرسم من خياله عدة محاور وزعم أنه: يستطيع أن ينقد، ويحلل من خلالها فترة **الحكم المايوى** وكان أمراً مبكياً، ومفجعا فى نفس الوقت فاختلطت عليه الأمور وجاءت معلوماته مبتورة، وناقصة، أو مجافية للأمانة، والمصداقية، وتفوح منها رائحة الانفعال، والعداء الشخصى، وهو أمر تعودنا عليه كثيراً من أبطال ما بعد الانتفاضة، والذين كشفت ملفاتهم الشخصية، الذاتية، والمهنية عن حجم الفوضى، والمرض، ومحاولات التستر بالخلاف السياسى لتغطية فساد أخلاقى، أو شخصى.

ولقد بدأ صاحبنا - بزعمه الباطل - وعقد المقارنة بين **النميرى، والبشير** ولنعد قليلاً ونذكر صاحبنا بأن: **النميرى التقى مع الجبهة الإسلامية** فى إطار مصالحة قومية انخرط بموجبها تسعون فى المائة من الحزبيين فى السلطة، وتوزعوا على المؤسسات، ومراكز القرار، وكان أداء الجبهة الإسلامية فى تقوية نفسها فاعلاً اعتماداً على النهج العقائدى، والبوليسى المنظم بينما تفرغت كوادر الأحزاب للفساد على طريقة الجلابة وعندما بلغ السيل الزبى عمل **النميرى** على إنفاذ القانون، واعتقل العصابة التى ترعبكم اليوم فى أقل من ساعة، ولم ينقذها من مصيرها المحتوم إلا أسيادك والذين أعطوها الشرعية، واعترفوا بها كياناً سياسياً حراً فانطلقت فى الأرض وعاثت فيها فساداً، وتحالفت معكم أيام الوفاق المر واقتسمتم معها الخبز المغموس بدم الإنسان السودانى، والذى ارهقته الحزبية كثيراً، وبعد ذلك تأتى لتقارن بين **النميرى والبشير**

اتق الله يا هذا فو الله لن يرعب البشير وجلاوزة حكمه غير النميرى، ولن يواجههم فى الميدان غير رفاق النميرى وأبناء **مايو الشرفاء** مثل ما قاتلوهم وهزموهم وردوهم خاسئين؛ حتى استباحوا معكم **الخرطوم فى عام ١٩٧٦**.

ولماذا المناورة، والتهرب؟.

فالجبهة قدركم، وقد قاتلتم معها فى **أبا وودنوباوى**، ويوليو الأخير، والخلاف بينكم سيتحول إلى تلاحم، وتحالف متى ما وصل للسلطة حكم قومى فى السودان.

وقصة المقارنة بين النميرى والبشير بحجة الانتماء للمؤسسة العسكرية وتلقى التدريب على السلاح يعتبر أمراً مضحكا للقارىء، ومبكياً لنا نحن السودانيين الذين ابتلانا الله بعقول، وأفهام لايتجاوز تفكيرها تقبيل أيدى السادة، وعلى ذكر الديمقراطية المزعومة على أيام الحكم الحزبى.

فالسؤال لكاتب المقال: عن أى ديمقراطية يتحدث. ؟ هل هى ديمقراطية الفقر والجوع والندرة، والاغتراب، والانقسام السياسى، والنفاق، والدجل، وتخريب السلام الاجتماعى، والانحدار بالخطاب السياسى، وانكسار الأمن القومى، واختراق الجبهة الداخلية، وتحويل السودان إلى مسرح لصراع القوى الأجنبية وتكريس الدكتاتورية المدنية. ؟

هل هى الديمقراطية التى قام باسمها أكثر من أربعين حزباً، وألف تجمع، وعشرة آلاف رابطة إقليمية، وعرقية وإقامة أربعين صحيفة مجهولة التمويل. ؟

وعن الحرية فى تلك الأيام . .

فهل نعنى بها اغتيال الأبرياء، والشهداء الذين سقطوا برصاص الحكم الحزبى وبلغ عددهم ثمانين شهيداً فى شهر واحد؟ . .

هل هى حرية بيع اليورانيوم، والتراخيص والتعامل مع الموساد الإسرائيلية، والتى شنقت رجل الأمن الذى حاول فتح ملف اليورانيوم.

هل تعنى بالحرية والديمقراطية: أن تتوزع ما بين الطامعين والنظم الإرهابية. ؟ فذلك عراقى وهذا ليبى وآخر سوفيتى والبعض عراقى إيرانى وآخرون، وصلوا قمة الدجل، والنصب، فجمعوا بينها جميعاً.

هل تعنى الديمقراطية: أن تتوزع هكذا فيجود علينا هذا ويمنع هذا عن ذاك؟ . .

وهل تعنى بالديمقراطية: تصفية القوات المسلحة، والانتقام منها وإغلاق منائرها الإعلامية؟ .

فقل لنا ياصاحبى لأن كل ما سبق ذكره لايمثل قطرة فى محيط مخازن وجرائم ذلك التحالف الحزبى الباطل.

وعلى ذكر الجزيرة آبا، والتى تحولت فى ذلك التاريخ إلى ثكنة عسكرية تم تجهيزها بواسطة رجال الجبهة الإسلامية الذين يحكمون السودان اليوم وبالتعاون مع الاتحاديين، وحزب الأمة.

لقد سقطت يا أخى الكريم فى الفخ الذى نصبته لنا.

وها هو التاريخ يثبت لك: **أن الجبهة الإسلامية بطرحها ونهجها يشبهكم، وقد تقدمت كل غزواتكم الباطلة، وهى تجرى فيكم مجرى الدم.**

ولما كان اللقاء بينكم لم يتم بموجب مصالحة مثل ما جرى النميرى لذلك تبقى أى محاولة للربط بين: النميرى، والجبهة الإسلامية وَهْمٌ باطل لايسنده إلا فجوركم فى الخصومة مع الرجل الذى فتح لكم أبواب السلطة، والمشاركة على مصراعيها، فقابلتم سعيه بكل الجحود، فخربتم، وأفسدتم.

ومن مفارقات القدر المحزنة للغاية أن كل الثغرات والإخفاقات التى أدت إلى أحداث أبريل التى أنهت دولة المؤسسات قد تمت على أيدى العناصر الحزبية داخل مايو، والتى سرعان ما انسلت من الحقبة المايوية وقفزت للسلطة باسم الانتفاضة، وخير دليل على ذلك مشاركة مائة وخمسين نائباً من مجلس شعب مايو فى برلمان أبريل الحزبى.

أما بخصوص القوانين الإسلامية فلا أظن أنى فى حاجة لأذكرك: بأن النميرى قد حاول تدارك البلاد فى ظل توجّه إسلامى وله أجر المجتهد ولقد أفسدتْ ذلك السعى عناصر **الجبهة الإسلامية** الدعية وعوامل أخرى.

وأنا أسألك لوجه الله والتاريخ: ماذا فعلتم أنتم الحزبيون بتلك القوانين؟.

فقل - بصراحة - إنكم قد دخلتم بها إلى بورصة الكسب والمغانم، وأصبحت أحد مواد المزايدة السياسية.

ثم يستنكر الأخ كاتب المقال: وجود جهاز أمنى قوى فى ظل الحكم المايوى وهذا الجهاز - ياصاحبى - تم حله **بواسطة الجبهة الإسلامية، وسوار الذهب**، وبقية الأحزاب الأخرى.

فماذا جنى السودان منذ ذلك التاريخ إلى الآن؟

فغياب ذلك الجهاز كلفنا دماء غزيرة وأرواحاً غالية ويعرف ذلك الأمر بتفاصيله

ممن ارتادوا المخاطر، والصعاب، وكابدوا العناد فى الخنادق لا الفنادق وهم أبناء مايو الشرفاء المرابطين فى كل الأنحاء، وبكل الثغور، والغابات، والذين قبضوا على الجمر، وظلوا يذودون عن أمن السودان القومى، حتى بعد أن ذهبت مايو، وإلى يومنا هذا.

وسيجىء اليوم الحاسم لفتح تلك الملفات أمام محكمة الشعب، والتاريخ، وترونه بعيدا ونراه قريباً.

ويكون مبكيا إذا لم تدرك أن غياب، وحل ذلك الجهاز القومى، وإقامة الجهاز الحزبى قد ساهم بنسبة مائة فى المائة فى وصول الجبهة الإسلامية للحكم عبر انقلاب البشير.

أما عن الجانب الاقتصادى: فلقد أورثتنا الحزبية حيطاناً، وجدراناً، امتلأت بالشعارات، والوعود، والأمانى، وجاءت مايو، وحررت الإنسان السودانى، ووسعت المشاركة فى السلطة، وشقت الطرق، والقنوات، ووسعت التعليم وأقامت كنانة، وجونقلى، والرهد، وكوبرى ختوب، وكوبرى كوستى، وطريق بور سودان ـ الخرطوم ـ وجامعة الجزيرة، وجوبا وبدأت فى جامعة الشمال وكردفان اللتين أوقفت الأحزاب العمل فيهما.

إنجازات أوضح من الشمس قامت على الرغم من التآمر الخارجى المدعوم بالملايين، والمنفذ بواسطة العناصر الحزبية، والتى لم تدع مجالا للتنمية نتيجة للغزوات المتكررة، والتى انطلقت من أوكار العمالة مكلفة السودان الكثير من الأنفس والثمرات.

تعطل مسار التنمية كذلك نتيجة للتضخم العالمى بعد حرب أكتوبر. ونتيجة لانقطاع الدعم العربى نتيجة مواقف قيادة السودان الأخلاقية برفض السير فى الخط الداعى لعزلة مصر بعد اتفاقية السلام كما لاننكر وجود مراكز القوى التى أفسدت فكانت إضافة لما ذكرناه عنصر سُحب من رصيد التنمية والتى انتهت، ودمرت بصورة نهائية على يد القوى الحزبية وأنا أتحدى ذلك الأخ الكريم، وعبر ذلك المنبر: أن يذكر ـ دون أى منـــاورة ـ إنجــازاً واحداً للحزبية بعد مايو وقد ذكرنا له ملامح الانهيار، والمخازى، والجرائم الحزبية. أكرر الملامح فقط.

وفى الختام نبشر الأخ طه حسن، والذى يبدو أنه قد ابتعد عن السودان طويلاً

بأن أهل السودان قد استوعبوا الدرس جيداً.

وأنا أرفع قفاز التحدى فى وجه صاحبنا، وأتحداه أن يذهب ويجوب السودان من أقصاه إلى أقصاه بحثاً عن رأى الناس فى عودة النميرى وخاصة أولئك المهمومين الذين أضناهم السهر، والجوع والمشقة بعد أن خارت عزائمهم نتيجة تسلط الأحزاب البغيضة من **الصادق المهدى وحتى البشير**. **ولنا عودة**.

محمد فضل على
عضو نقابة الصحفيين السودانيين

* * *

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

كتب للمؤلف

□ رحلة السندباد فى أعماق الجماد .	الناشر- المركز العربى للإعلام الكويت .
□ فاتنة الدنيا وحسناء الزمان .	الناشر- دار السياسة - الكويت .
□ نجوم الصحافة شهود على العصر .	الناشر- أخبار اليوم .
□ دليل مصر السياحى «الجزء الأول» .	الناشر- دار السياسة - الكويت .
□ الديمقراطية والانتخابات .	الناشر- دار المعارف .
□ مصر هبة المصريين .	الناشر- دار السياسة - الكويت .
□ دليل مصر السياحى «الجزء الثانى» .	الناشر- دار السياسة - الكويت .
□ عندما ينطق الجماد .	الناشر- دار الصفوة .
□ رحلة فى أعماق الشيخ الشعراوى .	الناشر- دار الصفوة .
□ محاكمة نميرى ولغز السودان .	الناشر- دار الصفوة .



رقم الإيداع ٣٨٥٩ / ١٩٩١
I. S. B. N.
977 - 5147 - 11 - 5